الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة عمار ثليجي بالأغواط

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique

Université *Amar Telidji* Laghouat

Doyenné de la Faculté des Sciences Sociales

عمادة كلية العلوم الاجتماعية
الرقم: 155/2021

الاغواط في 06 جوان 2021

مستخرج من محضر المجلس العلمي

رقم 01 بتاريخ 2021/03/07

بناءا على محضر المجلس العلمي رقم04 بتاريخ 2020/12/22 والمتضمن تعيين خبراء لمسطار

الأستاذة أقنيني أمينة كما يلي :

القسم	عنوان المسطار	المقدم من طرف	الخبراء	الجامعة
علم الإجتماع	نظريات سوسيولوجية حديثة	د. أقنيني أمينة	أ د. التونسي فايزة	الاغواط
			د . النوعي عطاءالله	الاغواط
			د. رباحي مصطفى	غرداية
			د. العيشي سعد	الجلفة

وفي جلسته المنعقدة بتاريخ 2021/03/07 وبعد الاطلاع على تقارير الخبرة الإيجابية المقدمة من طرف الخبراء المعينين في الجدول أعلاه ، صادق المجلس العلمي على قبول المسطار .

رئيس المجلس العلمي

رئيس المجلس العلمي لكلية العلوم الاجتماعية
الدكتور أ.د: باهي سلامي

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
كلية العلوم الاجتماعية
المجلس العلمي
جامعة عمار ثليجي بالأغواط

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة عمار ثليجي_ الأغواط

كلية العلوم الاجتماعية

قسم علم الاجتماع و الديموغرافيا

مقياس:

نظريات سوسيولوجية حديثة

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثانية علم الاجتماع

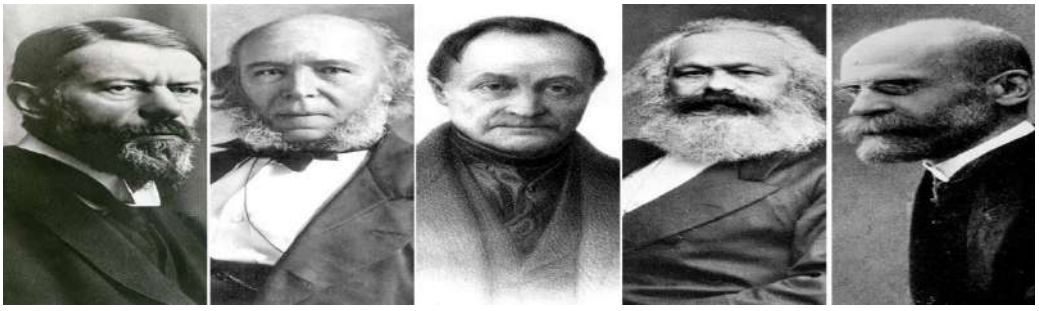

إعداد:

د. أقنيني أمينة

السنة الجامعية: 2019_2020

فهرس المحتويات

مقدمة	03
المحاضرة الأولى: النظرية العلمية مفهومها، شروطها ووظائفها	06
المحاضرة الثانية: علم الاجتماع، ماهيته، وظيفته و أسباب دراسته	11
المحاضرة الثالثة: النظرية السوسيولوجية ، مفهومها ، تصنيفاتها و العوامل المساهمة في تطورها	18
المحاضرة الرابعة: البنائية الوظيفية التقليدية (الكلاسيكية)_ اوغست كونت_	28
المحاضرة الخامسة: البنائية الوظيفية التقليدية (الكلاسيكية)_ إميل دور كايم _	35
المحاضرة السادسة: البنائية الوظيفية الحديثة_ تالكوت بارسونز و روبرت ميرتون	46
المحاضرة السابعة: نظرية الماركسية(نظرية الصراع) _ كارل ماركس_	56
المحاضرة الثامنة: المحاضرة الثامنة: النظرية الماركسية المحدثة (الصراعية المحدثة) _ رالف داهرندوف و لويس كوزر_	67
المحاضرة التاسعة: المحاضرة التاسعة: التفاعلية الرمزية_ ماكس فيبر و جورج هربرت ميد	73
المحاضرة العاشرة: التفاعلية الرمزية الحديثة_ هربرت بلومر و إرفنج جوفمان_	80
المحاضرة الحادية عشر: النظرية النقدية (مدرسة فرانكفورت) _ Criticism Theory _ ماكس هوركهايمر و تيودور أدورنو_	84
المحاضرة الثانية عشر: النظرية الظاهراتية Phenomenology Theory ايدموند هسرل و الفريد شوتز_	94
خاتمة:	100
قائمة المراجع:	101

فهرس الأشكال:

شكل رقم (01): رسم تخطيطي يوضح أهم الطروحات الوظيفية عند روبرت ميرتون	54
شكل رقم (02): رسم تخطيطي يوضح الصراع الطبقي عند كارل ماكس	58

مقدمة:

تعتبر دراسة النظرية السوسيولوجية من الدراسات والمجالات المميزة في علم الاجتماع، نظرا لاعتبارها الإطار المرجعي العام الذي يوجه هذا العلم على المستوى النظري أو التصوري من ناحية، و المستوى المنهجي و البحثي من ناحية أخرى.

كما يكشف لنا تحليل تراث النظرية السوسيولوجية ليس فقط دراسة معنى النظرية ومعرفة خصائصها و شروطها و أنواعها ووظائفها، بقدر ما يوضح أيضا طبيعة التطور الذي طرأ على هذه النظريات، منذ نشأة علم الاجتماع و احتلاله مكانة علمية و شرعية في الاوساط العلمية والأكاديمية. كما يكشف تطور النظرية السوسيولوجية عن مضمونها العام الذي وضعت من أجله والهدف منها في توجيه البحث و الباحثين للسعي لدراسة الواقع وجمع المعلومات اللازمة حول دراسة المعرفة الانسانية.

وحيث ان النظريات السوسيولوجية تعتبر من المقاييس الصعبة في نظر طلبة علم الاجتماع، خاصة و أنها متداخلة المفاهيم و مترابطة المعنى، و كثيرة المداخل والمدارس. لذلك حاولنا من خلال محتويات هذه المطبوعة البيداغوجية ان نبسط ولو بالقدر القليل في تفسير النظريات كما اننا اعتمدنا أسلوب التدرج التاريخي و المنهجي في طرحها وذلك بداية بالنظريات السوسيولوجية الكلاسيكية (التقليدية) ثم الحديثة و هذا حتى يتسنى للطالب ان يستوعبها و يفهم سياقها بشكل أفضل. وقد جاءت هذه المطبوعة البيداغوجية والتي هي موجهة أساسا لطلبة السنة الثانية ليسانس علم الاجتماع ، بجملة من المحاضرات التي من خلالها سنوضح المراحل التي مرت بها النظرية السوسيولوجية وهذا طبعا تماشيا وفق ما جاء في عرض التكوين المقدم لمقياس " نظريات سوسيولوجية حديثة" الموجه للسنة الثانية ليسانس علم اجتماع ، حيث احتوت المطبوعة على اثنى عشرة محاضرة و هي كالآتي:

1. **المحاضرة الأولى: النظرية العلمية مفهومها، شروطها ووظائفها**
2. **المحاضرة الثانية: علم الاجتماع، ماهيته، وظيفته و أسباب دراسته**
3. **المحاضرة الثالثة: النظرية السوسيولوجية ، مفهومها ، تصنيفاتها و العوامل المساهمة في تطورها**
4. **المحاضرة الرابعة: البنائية الوظيفية التقليدية (الكلاسيكية)_ اوغست كونت_**

5. **المحاضرة الخامسة: البنائية الوظيفية التقليدية (الكلاسيكية)_ إميل دور كايم _**
6. **المحاضرة السادسة: البنائية الوظيفية الحديثة_ تالكوت بارسونز و روبرت ميرتون**
7. **المحاضرة السابعة: نظرية الماركسية(نظرية الصراع) _ كارل ماركس_**
8. **المحاضرة الثامنة: النظرية الماركسية المحدثة (الصراعية المحدثة)**
9. **المحاضرة التاسعة: التفاعلية الرمزية_ جورج هربرت ميد**
10. **المحاضرة العاشرة: التفاعلية الرمزية الحديثة_ هربرت بلومر و إرفنج جوفمان_**
11. **المحاضرة الحادية عشر:النظرية النقدية (مدرسة فرانكفورت) _ Criticism Theory**
12. **المحاضرة الثانية عشر: النظرية الظاهراتية Phenomenology Theory**

المحاضرة الأولى: النظرية العلمية

مفهومها، شروطها ووظائفها

أولا_ مفهوم النظرية العلمية

ثانيا_ الشروط الواجب توفرها في النظرية العلمية

ثالثا_ وظائف النظرية العلمية

المحاضرة الأولى: النظرية العلمية مفهومها، شروطها ووظائفها

تمهيد:

تحتل " النظرية العلمية " مكانة متميزة في البحث العلمي بصفة عامة،سواء أكان موضوع هذا البحث ظاهرة طبيعية أو ظاهرة إنسانية .ويعلق عليها نفر من الباحثين أهمية خاصة في تحديد"هوية" أي علم من العلوم،حتى أن بعضا من هؤلاء الباحثين يذهب إلى حد جعل دورها أكثر أهمية من دور ا لمنهج العلمي على اعتبار أن ا لمنهج العلمي شيء مشاع بكل العلوم .أما نظرية أي "علم" _كعلم النفس أو علم الاجتماع مثلا_ فهي التي تحدد موضوعه وتنظم عملياته وأدواره بل ومساره.

يكشف تحليل التراث السوسيولوجي لعلم الاجتماع و العلوم الاجتماعية عامة، عن مدى أهمية دراسة النظرية كموجه أساسي لجميع الجهود النظرية و الميدانية للعاملين في هذه العلوم وفروعها المختلفة و هذا ما ظهر بالفعل خلال العقود الأخيرة من القرن الماضي، حيث اهتم بدراسة النظرية الاجتماعية (السوسيولوجية) الكثير من المتخصصين في علم الاجتماع، و ما يطلق عليهم بالمنظرين لهذا العلم، خاصة وأنهم سعوا للكشف عن مضمون النظرية وكيفية تطورها ونشأتها الأولى، إلى ان وصلت على ما هو عليه في السنوات الأخيرة. و في نفس الوقت يسعى علم الاجتماع و علماؤه و المتخصصون في فروعه المتعددة لتحديث النظرية العلمية (السوسيولوجية)، و لا سيما أن من اهم متطلبات عملية التحديث و التطور لهذه النظرية، البحث عن ما هو جديد، حتى يمكن أن تلائم النظرية مجموعة الظواهر و المشكلات و القضايا التي تطرحها طبيعة الحياة الاجتماعية المضطردة في المجتمعات الحديثة (عبد الله محمد عبد الرحمن،2003، ص 16).

اولا_ النظرية العلمية:

- **مفهوم النظرية:**

إن اصطلاح نظرية هو من المصطلحات الغامضة التي لا يستطيع العالم استعماله استعمالا دقيقا و صحيحا في كتابته و بحوثه، فقد يشير الاصطلاح إلى النظام التجريدي الذي يجمع بين الأفكار و يوحد بينها ويضعها في قالب يعكس معنى المفاهيم التي يطرحها العالم في سياق ابحاثه الأكاديمية... و النظرية العلمية هي نظرية نسبية قابلة للتعديل و التغيير، فكم من نظرية علمية قبل بصحتها و استمرت قائمة لفترة طويلة، وصلت إلى قرون أحيانا، ثم ثبت خطؤها بعد إجراء

المزيد من الدراسة عليها، خصوصا بعد ظهور اكتشافات جديدة غيرت من وجهات النظر القائمة. (احسان محمد الحسن،2009، ص 28 _29).

و النظرية هي مجموعة من القوانين او القرارات أو الاتفاقيات العلمية المنظمة بشكل منهجي، ، كما أنها معرفة منظمة وهي بناء فكري لمجموعة القوانين التي تم استنتاجها بدقة... ومهمة النظرية هو لا يعني تفسير الظواهر المعروفة في صورة عقلانية فحسب و إنما هي أيضا محاولة لتوقع ما يزال مجهولا لدينا (الظواهر غير معروفة). (Gilles Ferréol et al ,2013 , p285)

يكاد يكون الاتفاق واردا بين العلماء و الباحثين في تحديد مفهوم النظرية العلمية على أنها نسق فكري استنباطي متسق حول ظاهرة أو مجموعة من الظواهر المتجانسة،يحوي-أي النسق-إطارا تصوريا ومفهومات وقضايا نظرية توضح العلاقات بين الوقائع وتنظمها بطريقة دالة وذات معنى ،كما أنها ذات بعد إمبريقي، بمعنى اعتمادها على الواقع ومعطياته وذات توجيه تنبئي ،يساعد على تفهم مستقبل الظاهرة ولو من خلال تعميمات احتمالية (عبد الباسط عبد المعطي،1998، ص 09_10).

ومن الجدير بالإشارة في هذا المجال أن النظرة العلمية الحديثة تعتبر الكثير من النظريات القديمة مجرد فروض علمية، كنظرية بطليموس في تفسيره للأجرام السماوية، و التي ظلت قرونا عديدة مرجعا لدارسي الفلك حتى ثبت خطؤها، و نظرية نيوتن في الذرة و التي اعتمد عليها العلماء من بعده فترة طويلة في تفسير كثير من الظواهر الفيزيائية و النووية ثم ثبت خطؤها أيضا. إن النظرية العلمية لا تقتصر على مجرد الانسجام و الاتساق المنطقي بين حجمها و بياناتها و إنما تتعدى ذلك إلى التحقيق العلمي الناتج من اختبار أدلتها وافتراضاتها اختبارا يعتمد على التجربة و القياس وغيرها من وسائل البحث العلمي (احسان محمد الحسن،2009، ص 29).

كلود برنارد

"النظرية هي الفرضية المحققة الثابتة وهذا بعد تحقيقها من طرف التأمل العقلي و النقد التجريبي (الواقع)، لكن لكي تبقى صائبة فمن الضروري أن تنقح و تتغير باستمرار، وهذا على ضوء التقدم العلمي خاضعة دائما للتحقيق من خلال الظواهر الجديدة التي تظهر في الميدان"

ثانيا_الشروط الواجب توفرها في النظرية:

إن النظرية باعتبارها مجموعة من القضايا يجب أن تتوافر فيها الشروط الاتية:

- ينبغي أن تكون المفهومات التي تعبر عن القضايا محددة بدقة.
- يجب تتسق القضايا الواحدة مع الأخرى
- أن توضع في شكل يجعل من الممكن اشتقاق التعميمات القائمة اشتقاقا استنباطيا.
- أن تكون هذه القضايا خصبة و مثمرة تستكشف الطريق لملاحظات أبعد المدى، وتعميمات تنمي مجال المعرفة.(عدلي محمود السمري،2011، ص 24_25).
- أن تكون النظرية متفردة في موضوعها ومشروعها التفسيري ،ذلك لأن وجود نظرية أخرى تدرس نفس الموضوع وتفسره بنفس العوامل والطرق يضعف النظرية ويجعلها تكرارا لا مبرر له ،يتنافى مع قاعدة الاقتصاد العلمي.
- أن يكون للنظرية أرضية واقعية بمعنى أن تعتمد في صوغها على ملاحظات ودراسات واقعية من ناحية ، وأن تكون قابلة للاختبار العلمي الذي يثريها و يكسبها مشروعيتها العلمية من ناحية أخرى ،فالنظرية التي تأتي بقضايا تستعصي على الاختبار لا تعد نظرية علمية.
- يعد شرط وجود قدرة تنبئية في النظرية شرطا أساسيا فيها. فالنظريات التي تقف عند مجرد الوصف تفيد ،لكنها تعد ناقصة والنظريات التي تقف عند مجرد التفسير تفيد لكنها تعد ناقصة أيضا ،لأن قدرتها على التنبؤ تزيد من قوتها من جانب ،وتجعلها قادرة على مساعدة العلم كي يقوم بدوره المجتمعي الإنساني من جانب آخر. (عبد الباسط عبد المعطي،1998، ص 11).

شروط النظرية:

- ✓ **الوضوح، دقة التحديد و الشمولية**
- ✓ **القابلية للاختبار و التحقق،**
- ✓ **القدرة على التنبؤ، و اتساق الأفكار.**

ثالثا_ وظائف النظرية العلمية:

لجميع النظريات العلمية وظائف أساسية ومهمة مهما كانت المواضيع و الدروس التي تكتنفها، ولولا وظائف النظريات التي تقدمها للباحثين و للعلم لما ظهرت و تطورت و تغيرت بين فترة و أخرى، ويمكن تلخيص وظائف النظرية العلمية في النقاط الآتية: (احسان محمد الحسن،2009، ص 32_33)

- تساعد النظرية على نضوج واكتمال العلم، فجميع العلوم الطبيعية والاجتماعية مكونة من نظريات خاصة تهتم بتفسير وتوضيح الجوانب المختلفة لمواضيعها وموادها العلمية و المنهجية. فكلما كانت نظريات علم من العلوم كثيرة و متشعبة كلما كان العلم ناضجا وقادرا على تفسير ظواهره وعلاقاته وتفاعلات عناصره التي تهتم بدراستها و تحليلها، و كلما كانت نظريات العلم قليلة وضعيفة كلما كان العلم فتيا و غير قادر على تفسير ظواهره وعناصره التكوينية وبالتالي غير متمكن من معالجة مشاكل الانسان و المجتمع.
- تقوم النظرية العلمية بتفسير الظواهر الواضحة و الغامضة و التفاعلات الأساسية و الثانوية و العوامل الموضوعية و الذاتية لعلم من العلوم، ومثل هذا التفسير و الشرح يمكن العلم من استيعاب المشكلات و التناقضات التي تقع في حقل من حقول المجتمع. وبعد استيعابها و الالمام بجوانبها تستطيع معالجتها معالجة موضوعية تدفع المجتمع على التطور و النمو و الازدهار.
- تتكون النظرية من المفاهيم و المصطلحات الفنية التي لا غنى عنها لأي علم من العلوم، وعندما تتكاثر وتتضاعف النظريات تزداد المفاهيم والمصطلحات التي تكتنفها النظريات و تنمو العلوم نموا سريعا. إن كل مفهوم أو مصطلح يتضمن خبرة اجتماعية وعلمية طويلة، وهو بمثابة تلخيص لكثير من الحقائق التي تتكون منها النظرية العلمية.
- تحدد النظرية ميادين الدراسة في مختلف العلوم، كما تحدد نوع الحقائق التي ينبغي أن يتجه إليها الباحث في ميدان دراسته، و بدون النظرية تتداخل ميادين البحث وتتلاشى الحدود التي تفصل بعضها عن البعض الآخر.

المحاضرة الثانية: علم الاجتماع، ماهيته، وظيفته و أسباب دراسته

أولا_ ماهية علم الاجتماع

ثانيا_ وظيفة علم الاجتماع

ثالثا_ أسباب دراسة علم الاجتماع

رابعا_ أقسام علم الاجتماع

المحاضرة الثانية: علم الاجتماع، ماهيته، وظيفته و أسباب دراسته

يؤكد " ريمون آرون" أحد المشتغلين بعلم الاجتماع في فرنسا أن علم الاجتماع يتميز بأنه دائم البحث عن نفسه، وأن أكثر النقاط اتفاقا بين المشتغلين به هي صعوبة تحديد علم الاجتماع. وبرغم من وجود تباينات كثيرة ارتبطت بتحديد العلم و موضوعه، فهي تباينات فرضتها طبيعة العلم في نشأته وتطوره حيث تأثر بجماع الأطر المجتمعية والفكرية التي أحاطت به بما في ذلك الدين و الفلسفة و العلوم الطبيعية، كما تأثر بطبيعة التغيرات التي طرأت ولا تزال تواصل تأثيرها على المجتمع الانساني.

أولا_ماهية علم الاجتماع:

رغم التباينات الكثيرة التي تكتنف تعريف علم الاجتماع إلا أن هناك نقاط أساسية تمثل ولو هيكلا عاما يتحرك من خلاله علم الاجتماع و يتحدد به موضوعه الأساسي وهو هيكل يشير إلى أن " علم الاجتماع هو علم دراسة الإنسان والمجتمع، دراسة علمية، تعتمد على المنهج العلمي وما يقتضيه هذا المنهج من أسس وقواعد وأساليب في البحث" ((عبد الباسط عبد المعطي،1998، ص 15).

وهذا البعد الأساسي في التعريف يعد حصاد تطورات علم الاجتماع منذ أن ولد على يد العلامة " ابن خلدون" الذي حدّده بأنه " علم العمران البشري". وما يحويه هذا العمران من مختلف جوانب الحياة الاجتماعية المادية و العقلية.

اما " أو غست كونت" فقد اطلق كلمة Sociologie أي علم الاجتماع ، و تعني Logy الدراسات ذات المستوى الرفيع من الدقة و التعمق او المعرفة، أما Socio فتعني المجتمع، ومن ثم فكلمة مجتمعة تعني دراسة المجتمع دراسة تتمتع بدرجة عالية من التعميم و التجريد" (نيكولا تيماشيف،1997،ص 28).

بينما " ماكس فيبر" عرف علم الاجتماع بأنه:" العلم الذي يسعى إلى فهم الفعل الاجتماعي وتفسيره لكي يصل إلى تفسير سببي لمساره ونتائجه" و عرفه "تالكوت باسونز" بأنه العلم الذي تتركز مهمته في دراسة الأنساق الاجتماعية". اما " توم بوتومور" فقد عرفه بانه علم دراسة الحاضر، ونشأ نتيجة الحاجة الماسة لوجود علم يهتم بدراسة الحياة العصرية ونوعية البناءات والنظم المتغيرة التي ظهرت في هذه الحياة، و من ثم فإن علم الاجتماع هو العلم الذي يهتم بدراسة الحياة الاجتماعية سواء كانت بناءات نظم أو أفراد أم جماعات اجتماعية. و عرفه " ألبرت ستيوارت" بانه :" الدراسة

العلمية للمجتمع ، للجماعات و النظم، و العلاقات الاجتماعية بين المجتمعات" (عامر مصباح، 2010، ص 23_26).

علم الاجتماع

هو الدراسة العلمية للمجتمع و الجماعات و مختلف الظواهر الاجتماعية، وفق منهجية تحليلية، تفسيرية، موضوعية.

ثانيا_وظيفة علم الاجتماع:

الأمر شبه الثابت أن وظائف أي علم من العلوم الإنسانية وحتى الطبيعية متداخلة، و متفاعلة جدليا، تؤثر في بعضها البعض، ومع أننا نسلم بهذا التفاعل فإننا سنميز لأغراض التحليل والتوضيح بين وظيفتين أساسيتين لعلم الاجتماع تتفرع عنهما وظائف أخرى و هي:

الأولى: وظيفة علمية تعني بتطوير العلم نفسه، و النقد الذاتي لمختلف الجهود التي بذلت على الصعيدين النظري و المنهجي، بغية الوصول بالعلم إلى درجة أكبر من الكفاءة والدّقة في الوصول إلى القوانين الاجتماعية التي لا يصل العالم إليها إلا بعد رحلة طويلة تسير في خطوات المنهج العلمي بدءا من الملاحظة وحتى صوغ القوانين، و ما بينهما من خطوات تحليلية وتفسيرية و تعميمية، على ان تفضي هذه القوانين إلى أوضاع أفضل تمكن من التنبؤ بمسار المجتمع الإنساني وبنائه.

الثانية: وظيفة مجتمعية، وهي تعني جميع الدوار التي يقوم بها العلم لمجتمع معين، وهذه الوظيفة يمكن أن تندرج تحتها وظائف فرعية كثيرة تبدأ بفهم الواقع وتفسيره، و تناول مشكلاته و التخطيط لتناولها وعلاجها، سواء كانت هذه المشكلات فئوية أو قطاعية أو مجتمعية شاملة تشمل المجتمع على وجه العموم.(عبد الباسط عبد المعطي،1998، ص 17).

و بما أن هذا العلم ارتبط بالسياق المجتمعي وتأثره بالمؤثرات التي تحدد النشاط الإنساني زمانيا و مكانيا، المر الذي جعل هذه الوظيفة الاجتماعية متباينة بين فترة و اخرى و بين مجتمع و آخر، بل و

بتباين الموقع الطبقي الاجتماعي الذي ينتمي إليه الباحث و ينظر من خلاله إلى الواقع الاجتماعي، وهنا يمكن التمييز بين موقفين أساسيين: تمثل الأول في الوقوف إيجابيا مع النظام الاجتماعي القائم، و بالتالي صناعة أفكار نظرية، و مناهج وطرائق للوصول إلى بيانات علمية تدعم هذا النظام و تبرهن سلامته. و هذا الموقف يكاد يكون موقف كل الرواد المؤسسين لهذا العلم ماعدا واحدا فقط وهو " كارل ماركس". فقد قال " اوغست كونت" :" إنك تدرس لكي تضبط"، في حين أن دور كايم" أشار إلى أن علم الاجتماع يجب أن تكون له فوائد عملية، دون تحديد وجهتها، و إن كان يفهم ضمنا من كتاباته أن هذه الفوائد تتمثل في علاج المشكلات الاجتماعية التي تحافظ في النهاية على النظام الاجتماعي القائم وتوازنه و استمراره. (عبد الباسط عبد المعطي،1998، ص 18).

وظيفة علم الاجتماع عند " كارل ماركس":

"لقد درس الناس العالم على أنحاء عدة غير أن المهم هو تغييره"

التغيير المقصود هنا هو: التوجه نحو الانسان وجعل مستقبله أكثر عدالة و إرادته اكثر تحررا خاصة الانسان المضطهد و المستغل سواء كان عاملا او فلاحا او غير ذلك

- **كيف لعلم الاجتماع أن يحقق وظائفه الإنسانية؟**

إن الإجابة على هذا السؤال تعني أولا دراسة الواقع و تشخيصه وتفسيره، و تعني ثانيا تقديم بدائل لتصورات التغيير، و تعني ثالثا العمل على إنضاج وعي الجماهير المشاركة في المجتمع، من خلال وضعها على طريق التفكير العلمي، و تبصيرها بما هو حادث حولها سلبا و إيجابا. وهذا يبرز بجلاء أهمية الدور النقدي لعلم الاجتماع، ولا يقصد بالنقد هنا أن يكون وحيد الجانب، في اتجاه النظام الحاكم، وإنما يكون متفاعلا متوجها إلى القمة و القاع، و إلى الحاكم و المحكوم، وتعني رابعا ضرورة المشاركة في صناعة القرارات و في التخطيط المجتمعي.

وظيفة علم الاجتماع النظرية و المنهجية تتمحور حول التفسير السببي للظواهر و القضايا و المشكلات الاجتماعية من اجل المحافظة على استقرار و توازن النظام الاجتماعي القائم

ثالثا_ أسباب دراسة علم الاجتماع:

تعددت أسباب دراسة علم الاجتماع منذ أن ظهر خلال القرن التاسع عشر حتى الآن، وإن كانت مجموعة من هذه الأسباب قد تنوعت نظرا لتعدد المشكلات والظواهر الاجتماعية و أصبحت اكثر تعقيدا، كما تنوعت بناءات المجتمع الحديث و تشابكت علاقته المختلفة . و تتمثل مجموعة هذه الأسباب في مايلي:

- يكرس علم الاجتماع مهمته منذ نشأته الأولى نحو دراسة المشكلات و الظواهر الاجتماعية التي ظهرت في المجتمع الحديث ، و استخدام الطرق والأساليب والمناهج العلمية التي تهدف إلى تفسير الحقائق بصورة واقعية و العمل على التحقق منها بصورة علمية مدروسة.
- يقوم علم الاجتماع بدراسة نسق العلاقات الاجتماعية و تحليل أنماطها وأنواعها المختلفة، والأسباب التي تؤدي إلى زيادة هذه العلاقات أو إلى تفككها سواء بين الأفراد أو الجماعات أو داخل المجتمعات المحلية الصغيرة و الكبيرة.
- يتناول علم الاجتماع معالجة و دراسة السلوك البشري و انماط الشخصية الفردية، و طبيعة النشطة المترابطة على هذه السلوك، وما هي أنماط السلوك و التفاعل الاجتماعي المعياري او الأمثل أو تحديد أنماط السلوك السوي و غير السوي.
- يعالج علم الاجتماع كل من البناءات و النظم الاجتماعية ومعرفة التغيرات التي تحدث على نوعيته، والوظائف التي يجب أن تقوم بها، ولا سيما أنها تعتبر من المكونات الأساسية لدراسة المجتمع ومهمة علم الاجتماع ككل. (عبد الله محمد عبد الرحمن و السيد رشاد غنيم،2008، ص 59)
- يهتم علم الاجتماع بدراسة التنظيمات الاجتماعية و التي تتمثل في العديد من التنظيمات الحديثة، مثل المصانع و الشركات والجيوش و المستشفيات و السجون و المدارس والجامعات ومراكز الرعاية الاجتماعية المختلفة، و الشركات العالمية، وذلك بهدف تحقيق أهدافها و إدارتها وتنظيم علاقتها مع الأفراد و الجماعات وزيادة فاعليتها بصورة عامة.
- يدرس علم الاجتماع طبيعة الحياة الاجتماعية و أساليبها المختلفة، و أنماط المعيشة ونوعية اختلاف الحياة عن غيرها من الكائنات الحية الأخرى، أو تباين أنماط هذه الحياة وتغيرها في المجتمعات الحديثة عن غيرها من المجتمعات التقليدية.

- يتناول علم الاجتماع دراسة انماط التغير و التحديث و التطور و التنمية و غير ذلك من قضايا متعددة تدخل في نطاق علم الاجتماع وفروعه المتخصصة المختلفة.
- يستطيع علم الاجتماع تقديم المشورة و الخبرة لكل من رجال السياسة الاجتماعية و القائمين على وضع الاستراتيجيات العامة و التخطيط وصناع القرار وغيرهم، عند قيامهم بدورهم تجاه المشكلات الاجتماعية التي توجد في المجتمع الحديث.
- يكرس علم الاجتماع نظرياته ومناهجه وطرق أساليبه في جمع البيانات لدراسة مشكلات المجتمع الحديث (المعاصر)، و النبؤ بالنتائج العامة لهذه المشكلات في المرحلة المستقبلية نتيجة تطور الدراسات المستقبلية في علم الاجتماع.
- يمكن لعلم الاجتماع أن يصل إلى مجموعة من القوانين والقواعد العامة التي يمكن الاستفادة منها عند دراسة المشكلات و الظواهر الاجتماعية، وذلك من خلال الوصول إلى عدد من التعميمات، التي تعتمد على نتائج الدراسات الميدانية أو التطبيقية. (عبد الله محمد عبد الرحمن و السيد رشاد غنيم،2008، ص 60)

بإيجاز، لقد تعدد وتنوعت مجالات اهتمامات علم الاجتماع ولا توجد أي مؤسسة أو تنظيم اجتماعي أيا كان نوعه في المجتمع الحديث يبعد عن اهتمامات علماء الاجتماع ودائرة تخصص علم الاجتماع. المر الذي أدى إلى تنوع مجالات وموضوعات هذا العلم، و لاسيما في السنوات الأخيرة، و نتيجة لزيادة عدد المتخصصين و تنوع اهتماماتهم واتساع دائرة التخصص التي يقوم بها علم الاجتماع عند دراسة المجتمع الحديث بصورة عامة.

رابعا_أقسام علم الاجتماع:

يقسم علم الاجتماع إلى علم كلي و علم جزئي أو علم اجتماع عام و علم اجتماع خاص، ويهتم علم الاجتماع العام بالنظرية الاجتماعية عامة و في أي من تخصصات هذا العلم و كذلك في منهجية هذا العلم و تطورها ...الخ

أما علم الاجتماع الخاص فيسمى كل منها باسم الاختصاص الذي يهتم به في المجتمع ولتسمية هذه المجالات نسمي:

1. علم الاجتماع العائلي: و هو العلم الذي يبحث في الأسرة و العائلة و تكوينها ووظائفها وصراع الأجيال فيها..

2. علم الاجتماع الحضري: و يبحث في مجتمع المدينة و بناءاته و توسعاته و العلاقات بين أجزائه ومؤسساته و في تنظيم المدن و مشاكلها و غيرها...
3. علم الاجتماع السياسي: وهو يبحث في العلاقات بين الحكام و المحكومين و في تكوين المؤسسات الحكومية و السلطة...و في مختلف الأنظمة السياسية
4. علم الاجتماع الاقتصادي: و يبحث في العلاقات الاجتماعية بين المؤسسات الاقتصادية في المجتمع من ناحية و بينها وبين الجماعات العاملة في هذه المؤسسات من ناحية أخرى ووسائل الصراع و الانسجام التي يصلون إليها.
5. علم اجتماع السكان: ويستخدم مفهوم السكان بمعنى أكثر شمولا و اتساعا لأنهم لم يقصروه على جوانب محددة و بخاصة الخصوبة العالية و معدلات النمو و إنما أضافوا له جوانب أخرى كثيرة و بخاصة الخصوبة العالية و معدلات النمو و إنما أضافوا له جوانب أخرى كثيرة مثل الوفيات و الاختلاف في معدلاتها و الصحة و معدل الإصابة بالمرض و أ]ضا جوانب تكوين السكان بما في ذلك التكوين العمري ودرجة التجانس أو عدم التجانس في السكان من أنواع العرف و الجنس و الثقافة و الدين وأيضا جوانب توزيع السكان الإقليمي و الحضري و الريفي.
6. علم الاجتماع الديني: و الذي يتعلق بالفلسفة الدينية و النظم الدينية و المعتقدات.
7. علم اجتماع القانون(التشريعي أو الأخلاقي): القانون و علم الأخلاق.
8. علم اجتماع الجنائي (الجريمة): والذي يهتم بدراسة مشكلات الجريمة و الانحراف في المجتمع.
9. علم اجتماع المعرفة: هو علم دراسة محددات المعرفة بواسطة الوجود الاجتماعي، فهو يدرس محددات وجود المعرفة، و المحددات الاجتماعية و الثقافية للتفكير، وتعتبر النقطة التي تميز منظور علم الاجتماع المعرفة أنه ينظر إلى المنتجات الذهنية على المدى البعيد بأنها تتأثر بالظروف الاجتماعية و يمكن تعريف على اجتماع المعرفة عند " جاك ماكيه" بأنه دراسة المنتجات الذهنية التي ترتبط بالظروف الاجتماعية و الثقافية، و تستند الأولى على الثانية، و يعد كل واحد منهما هاما للآخر.(اسماعيل الزيود،2012، ص 23).
10. علم اجتماع التربية: يهتم بدراسة المؤسسات و المنظمات التربوية في المجتمع. هذا إلى جانب العديد من الفروع الأخرى التي ظهرت في السنوات الأخيرة و التي تهتم بدراسة مجالات معينة و ظواهره خاصة داخل المجتمع.

المحاضرة الثالثة: النظرية السوسيولوجية ،مفهومها ، تصنيفاتها و العوامل المساهمة في تطورها

أولا_ النظرية السوسيولوجية

ثانيا_ تصنيف النظرية السوسيولوجية و أبعادها

ثالثا_ العوامل المساهمة في ظهور النظرية السوسيولوجية و تطورها

المحاضرة الثالثة: النظرية السوسيولوجية ، مفهومها ، تصنيفاتها و العوامل المساهمة في تطورها

أولا_ النظرية السوسيولوجية:

إن هدف النظرية الاجتماعية هو التوصل إلى مجموعة من القضايا المفسرة للأشكال الاجتماعية و التنظيم الاجتماعي، و تعبر عن المتماثلات في الظواهر والعوامل المؤثرة في الحياة الاجتماعية، و يمكن القول بأن اولى مراحل التعميم الميداني تتمثل في تحديد أوجه التماثل و التشابه بين تنظيمين أو اكثر.

ومن خلال مراحل تطور علم الاجتماع كانت هناك صورة من التكامل بين علماء الاجتماع النظري وعلماء الاجتماع التطبيقي وتمثل ذلك في المجلات النظرية فيما بينهم حول العلاقة بين النظرية و البحث، وأدت هذه المجادلات العلمية إلى إدراك طبيعة العلاقة بين النظرية و البحث الميداني، و هذا ما يشير إليه التراث المتراكم في الدوريات العلمية التي اهتمت بدراسة دور النظرية في البحث الميداني ودور هذا الأخير في تطوير النظرية السوسيولوجية.

تعرف النظرية السوسيولوجية بأنها نظام تفسيري للحقائق الاجتماعية ، وفي نظر "دور كايم " تتضمن النظرية الاجتماعية عموما من نظرية الفعل ، نظرية المؤسسات و نظرية الديناميات و التي هي في الأساس مترابطة فيما بينها (Frédéric Lebaron ,2014 , p 204)

و يقدم " بوتومور" تحديدا لطبيعة النظرية السوسيولوجية من خلال أهمية أثرها نحو إقامة تعميمات واسعة من الارتباطات الإمبريقية، التي أمكن التوصل إليها، بحيث تخضع هذه التعميمات للاختبار عن طريق بحوث مستقبلية. و يتركز التصور السابق لعالم الاجتماع الايطالي " بوتومور" من خلال تحليله لمجموعة من القوانين التي يمكن أن يتوصل إليها علم الاجتماع و التي يستند إلى استخلاصها من نتائج البحث الإمبريقي (عبد الله محمد عبد الرحمن، 2000، ص 60).

وهذا ما أكد عليه " تيماشيف" عندما حدّد اهمية البحث السوسيولوجي لتكوين النظرية وعلم الاجتماع، و إلى أي حد يمكن لهذه النظرية أن توجه مجريات البحوث الإمبريقية و النظرية معا، مما أدى إلى زيادة نضج وإثراء النظرية السوسيولوجية ككل، و هذا في حدّ ذاته أحد أهداف علم الاجتماع العامة.

و تعتبر النظرية السوسيولوجية بمثابة الإطار الفكري التصوري الذي يجمع الحقائق و المعرفة و النتائج التي يتوصل إليها الباحثين بصورة غير مرتبة و دقيقة. و من ثم تأتي خاصية النظرية سماتها، بأنها تقوم بتجميع هذه الحقائق و المعرفة و النتائج، بصورة يسهل عن طريقها إعادة دراستها او تحليلها، و ذلك من أجل تطويرها أو تحديثها حتى تكون مرتبطة بالواقع المتغير، كما تتسم النظرية بخاصية أخرى وهي صياغة النظريات لا تكون استاتيكية جامدة بقدر ما تتسم بالمرونة و التجديد و التطبيق و الممارسة.

وعليه فإن للنظرية السوسيولوجية مجموعة من الوظائف التي تؤديها لخدمة الباحثين و البحث العلمي، ولقد طرحت هذه الوظائف في كتابات العديد من علماء البحث و النظرية الاجتماعية ولعل اهمّها:

1. تحديد أنواع البيانات و تجريدها
2. تقديم إطار تصوري يقوم بتنظيم وتصنيف الظواهر المدروسة
3. الوصول إلى الحقائق و إصدار التعميمات حولها
4. تساعد على التنبؤ
5. تساعد على تحقيق المزيد من المعرفة الإنسانية بصورة مستمرة.((عبد الله محمد عبد الرحمن،2000، ص 60_61).

بصفة عامة تعد هذه اهم الخصائص العامة التي تحدد طبيعة النظرية السوسيولوجية، و من هذا المنطلق يأتي دور علماء و منظري النظريات السوسيولوجية للعمل بصورة مستمرة لبلورة هذه النظريات وتحديد خصائصها ووظائفها ، و التي أصبحت في الوقت الراهن مجموعة من المبادئ والأسس العامة التي يتفق حولها كل من علماء النظرية السوسيولوجية ومناهج البحث الاجتماعي ككل.

ثانيا_ تصنيف النظرية السوسيولوجية و أبعادها:

ما من شك أن عملية التصنيف تعد من المشكلات التي لا تزال تواجه الباحثين في علم الاجتماع وغيره من العلوم الاجتماعية الأخرى، ومرجع ذلك إلى طبيعة التداخل الشديد بين موضوعات وقضايا ومجالات علم الاجتماع ذاته او بينه و بين مجالات العديد من التخصصات في العلوم الاجتماعية الأخرى. وهذا ما ظهر أيضا على سبيل المثال، عند محاولة تصنيف تعريفات و

موضوعات ومجالات علم الاجتماع ككل. ولكن هذا لا ينفي على الإطلاق، البعد عن التصنيف و اعتباره مشكلة بدون حل، بقدر ما يتصور بصورة أكيدة، أن هدف التصنيف من الدرجة الأولى، ترتيب البيانات و الحقائق المرتبطة بالقضايا المدروسة، من أجل سهولة تحليلها وفهمها ودراستها سواء عن طريق الباحثين و المتخصصين في مجال الدراسة ذاته أو عن طريق الباحثين المتخصصين في مجال الدراسة ذلته أو غيرهم من التخصصات العلمية الأخرى.

و من ثم فإن هدفنا الحالي يكمن في طرح عدد من التصنيفات، التي ارتبطت بالنظرية السوسيولوجية، و ذلك للتعرف على طبيعة التراث السوسيولوجي لهذه النظريات، و على أي أساس تم تصنيف هذه النظريات بالصورة التي ظهرت عليها كما جاءت في تحليلات كثير من المنظرين السوسيولوجيين لعلم الاجتماع وفروعه المختلفة.(عبد الرحمن و غنيم، 2008، ص 105).

1. التصنيف على أساس البعد التاريخي:

يعتمد أصحاب هذا التصنيف على ترتيب النظرية السوسيولوجية من خلال ظهورها من الناحية التاريخية ووفقا للمراحل الزمنية التي ظهرت فيها، فقد قسم " تيماشيف" طبيعة التطور التاريخي لنظريات علم الاجتماع و قسمها إلى أربعة مراحل:

- **المرحلة الأولى:** وتتضمن نظريات علماء الاجتماع الأوائل منذ نشأة هذا العلم حتى عام 1875، ومن أهم نظريات هذه المرحلة نظريات " كونت" و سبنسر"، و " ماركس" و " فيبر" و " تايلور" و " مورغان" و غيرهم.
- **المرحلة الثانية:** و تتحدد من الناحية التاريخية بالربع الأخير من القرن التاسع عشر، و تشمل النظريات الداروينية الاجتماعية، و السيكولوجية، و التطورية الاقتصادية، و التكنولوجية، و الديموغرافية، و المدرسة الاجتماعية، و النزعة الذاتية الروسية.
- **المرحلة الثالثة:** و تمتد خلال الربع الأول من القرن العشرين، و تتضمن مرحلة انقسام النظرية التطورية إلى أقسام فرعية، لتشمل جوانب اجتماعية و سيكولوجية و مثالية.
- **المرحلة الرابعة و الأخيرة:** و هي التي تظهر تقريبا قرب القرن العشرين و تتميز بظهور مجموعة كبيرة المدارس و الاتجاهات الحديثة مثل الوضعية المحدثة، و الايكولوجية البشرية، و الاتجاه الوظيفي، و علم الاجتماع النظري، و علم الاجتماع التاريخي و الفلسفي،

بالإضافة إلى مجموعة أخرى من الاتجاهات العقلية و الإمبريقية (عبد الرحمن، 2000، ص 104).

2. **التصنيف على أساس البعد الجغرافي:**

يعتمد هذا التصنيف عن طريق استخدام المناطق و الدول التي ظهرت فيها النظريات السوسيولوجية كمقياس لعرضها و تصنيفها. و في هذا الإطار يمكن تصنيف النظريات السوسيولوجية في فرنسا و تشمل نظريات " كونت" و " دوركايم" على سبيل المثال ، و النظريات الألمانية مثل " ماركس" و " فيبر" او النظريات البريطانية مثل تحليلات " سبنسر"، و في الولايات المتحدة من نظريات " بارسونز" وغيره.

3. **التصنيف على أساس المنهج:**

ويعتمد هذا التصنيف على أساس اختيار بعد المنهج، أو مدى التزام النظريات بالأبعاد المنهجية العلمية في دراستها و تحليلاتها، ومن أهم أصحاب هذا التصنيف على سبيل المثال " هلموت فاجنر" الذي صنف النظريات السوسيولوجية إلى ثلاثة وهي:

- **النظريات الوضعية:** و تقوم هذه النظريات على تصور أن علم الاجتماع ينبغي أن يعالج موضوعاته باعتباره علما طبيعيا، و تتضمن هذه النظريات كل من النظريات الوضعية المحدثة والايكولوجية البشرية، و الوظيفية البنائية، والسلوكية الاجتماعية، وأيضا النظريات النفسية و البيولوجية.
- **النظريات التفسيرية:** و تشمل التحليلات التي تتمسك بالقواعد المنهجية العامة للعلم، ودون الاستعانة بالمناهج العلمية التي توجد في العلوم الأخرى. وتتضمن هذه النظريات كل من نظريات الفهم الثقافي، و النظرية التفسيرية للفعل ونظرية التفاعل، ثم نظرية الفينومينولوجيا الاجتماعية.
- **النظريات التقويمية:** و هي النظريات التي تهدف إلى الربط بين علم الاجتماع والفلسفة عن طريق استخدام أحكام القيمة و التكامل الثقافي ((عبد الرحمن، 2000، ص 105_106)

4. **التصنيف على أساس النماذج المستعارة من العلوم الأخرى:** كما يظهر هذا التصنيف من خلال تصنيف النظريات السوسيولوجية حسب استعارتها من العلوم الطبيعية

والاجتماعية الخرى مثل المدرسة الميكانيكية في علم الاجتماع، و المدرسة البيولوجية ، و المدرسة السيكولوجية، و المدرسة الجغرافية (الإيكولوجية).

و يعتبر " بيتر سوروكن" من أبرز العلماء الذين لجأوا إلى هذا التصنيف في تناولهم للنظريات السوسيولوجية حيث عرض لطبيعة المدرسة الميكانيكية، و التي تتناول تفسير الظواهر الاجتماعية في ضوء مفاهيم الطبيعة و الكيمياء و الميكانيكا. و المدرسة الجغرافية في تحديد للعلاقة بين البيئة الجغرافية وتأثيرها على الحياة الاجتماعية و الدين و الاقتصاد والأسرة، و المدرسة البيولوجية عند محاولة عقد نوع المماثلة البيولوجية بين الكائن العضوي و بناءات المجتمع ووظائفه واستخدام مفاهيم مثل الوراثة و الانتخاب و البقاء للأنسب أو الأصلح. ثم المدرسة النفسية (السيكولوجية) عند تفسير السلوك في ضوء الخصائص و عوامل التفسير المتعددة. المدرسة السوسيولوجية، تهدف إلى تفسير الظواهر الاجتماعية وارجاعها إلى أصولها الاجتماعية مثل تفسيرها للعلاقة المتبادلة بين العامل الاقتصادي كعامل رئيسي الذي يؤثر على جميع مظاهر الحياة الاجتماعية (عبد الرحمن و غنيم، 2008، ص 107).

5. التصنيف على أساس الأصول الفلسفية:

و يعتبر من أبرز علماء النظرية السوسيولوجية الذين اعتمدوا على مقياس ارجاع النظريات إلى أصولها الفلسفية " دون مارتيندال" في كتابه المعروف عن (النظرية السوسيولوجية : طبيعتها و أنماطها)، حيث أشار إلى خمس نظريات رئيسية ومجموعة أخرى من المدارس الفرعية التي تندرج تحتها وهي:

- **المدارس العضوية الوصفية:**

تمتد أصول هذه المدرسة ومصادرها الأساسية إلى الفلسفة المثالية، التي تركز على دراسة الواقع عن طريق اعتباره شيئا متضمنا في نوعية الأفكار، ولذا تكون الأفكار أكثر الأشياء وضوحا وتعبيرا عن الواقع ذاته. أما الوضعية فإنها تشمل الاتجاه الفكري والذي يهدف إلى تفسير العالم عن طريق الخبرة، وتمتد جذور النزعة أو المدرسة الوضعية إلى فلاسفة اليونان القدماء ولكنها تبلورت على أيدي كل من فرنسيس بيكون، و لوك و هيوم و فولتير.

- **مدرسة الصراع:**

ترجع هذه المدرسة إلى أصول فلسفية يونانية قديمة، ويعتبر صاحبها الأول الفيلسوف " هيراقليطس" الذي يعد أول صاحب نظرية عن التغير، و تنظر إلى الصراع عموما على أنه ظاهرة أساسية ومحورية في جميع جوانب الحياة الاجتماعية. و لكن انتقلت هذه الأفكار إلى رواد الفكر السياسي و الاجتماعي خلال العصور الوسطى وعصر التنوير و ظهرت على أيدي " ميكافيللي ، بودان و هوبز". (عبد الرحمن و غنيم، 2008، ص 108).

ولكن هذه المدرسة أو النظرية لم تتبنى الاتجاه الفلسفي أو العقلي فقط عند تفسيرها للصراع، ولكنها انتقلت إلى الجانب الإمبريقي و إجراء الدراسات الميدانية، و ذلك بفضل تحليلات كل من " هيوم وفيرجسون" عن النظم السياسية، ومع بداية القرن التاسع عشر تطورت الأكفار الثورية، و التي تبنت اتجاه الصراع في تحليلاتها و هذا ما ظهر في الماركسية و الداروينية الاجتماعية عن طريق تركيزها على دراسة كل من الطبقات الاجتماعية، كما ظهرت عند " ماركس" أو اهتمامها بالطابع المحافظ كما ظهرت في تحليلات كل من " هربرت سبنسر ووليام سمنر".

- **الصورية أو الشكلية السوسيولوجية:**

ارتبطت هذه النظرية بالأصول الفلسفية العقلية التي تمتد بصورة خاصة إلى الفلاسفة اليونانيين، و لكنها ما لبثت أن تبلورت في شكلها الجديد على أيد " كانط"، الذي سعى لتخليص العلم من النزعة الشكية، و تبني النزعة العقلية وذلك عن طريق الاعتماد على دراسة أنواع معينة من القضايا وهي القضايا التحليلية و التركيبية و التي تهدف عموما إلى ضرورة الربط بين الاتجاه العقلي و الاتجاه الواقعي الامبريقي في تفسير المعرفة الانسانية عموما.

ولكن ما لبثت أن تطورت هذه النظرية وأخذت أشكالا جديدة خلال القرن التاسع عشر ، ولاسيما بعد ظهور ما يعرف بالكانطية المحدثة والتي تتمثل في ظهور ما يعرف بالاتجاه الفينومينولوجي، كما ظهر في كتابات " بارك و سانتيان" في الولايات المتحدة، أو تحليلات " جورج زيمل" في ألمانيا.((عبد الرحمن ، 2000، ص 108).

- **السلوكية الاجتماعية:**

وترجع الأصول الفلسفية لهذه النظرية إلى كل من الفلسفة المثالية و البراغماتية في نفس الوقت، و تعتمد أيضا على كل من المدخل السلوكي في تفسير الظواهر الاجتماعية، و تحليلها لموضوعات وقضايا علم الاجتماع بشكل متعارض مع كل من المدرسة الوضعية وأًحاب نظرية الصراع، وأيضا المدرسة الصورية أو الشكلية الاجتماعية. وتركز المدرسة السلوكية الاجتماعية على استخدامها مناهج إمبريقية جديدة في الدراسة السوسيولوجية وذلك من أجل تجنب الأخطاء و المشكلات المنهجية كما حدث للمدارس والنظريات السابقة.

وعموما ، لقد تطورت النظرية السلوكية الاجتماعية و انقسمت إلى ثلاث مدارس فرعية وهي: السلوكية الجمعية، و التفاعلية الرمزية، ونظرية الفعل الاجتماعي، وتركز الأولى

- **الوظيفية السوسيولوجية:**

ترتبط هذه المدرسة بتحليلات مجموعة من رواد علم الاجتماع التي تتركز على دراسة الوظيفية السوسيولوجية عند دراستها للأنساق أو البناءات الاجتماعية سواء تلك الأنساق أو البناءات أو الوحدات كبيرة الحجم أو الوحدات أو البناءات صغيرة الحجم، ولقد جعلت هذه البناءات أو الوحدات بمثابة وحدة التحليل الرئيسية التي يطلق عليها بالتحليلات الكبرى و الصغرى.

ولقد جاءت تحليلات كل من " براون "و " مالينوفسكي" " باريتو" و " بارسونز"، و " ليفي " و " ميرتون" و " هومانز" لتمثل دراسة الأنساق في المجتمعات الكبيرة. بينما تتدرج كتابات كل من "ليفن" و " زاندر" و غيرهم عن طريق تبني المدخل المصغر أو دراسة المجتمعات الصغيرة.

6. التصنيف على أساس البعد السوسيولوجي:

يعتمد هذا التصنيف بالدرجة الأولى على ضرورة استخدام المدخل السوسيولوجي في دراسة الظواهر والموضوعات الاجتماعية. ولقد استخدم هذا التصنيف أحد منظري النظرية السوسيولوجية وهو " والتر ولاس"، عندما أشار إلى ضرورة الأخذ في الاعتبار مجموعة من الملاحظات عند تصنيف النظريات والتي يجب أن يقوم بها الباحث قبل تفسيره للظواهر الاجتماعية أو الوصول إلى تعميمات حولها بصورة كلية. ومن أهم هذه الملاحظات هي البعد عن

الذاتية وتحرى الموضوعية عند دراسته وتفسيره للظواهر و المشكلات الاجتماعية. .(عبد الرحمن ، 2000، ص 110).

ومن أهم النظريات التي تندرج في إطار هذا التصنيف هي : النظريات الإيكولوجية، والسكانية و التكنولوجية و البنائية الوظيفية و الصراع ، و التفاعل الرمزي و الفعل الاجتماعي.

7. التصنيف على أساس البعد الايديولوجي _ الاقتصادي:

وذلك بأن تصنف النظريات الاجتماعية بناء على الإيديولوجية التي تنتمي إليها مثل النظرية الماركسية، و النظرية الليبرالية و النظرية الاسلامية(مصباح،2010، ص 39).

ثالثا_ العوامل الممهدة لظهور النظريات السوسيولوجية:

يصعب على المهتم بدراسة النظرية السوسيولوجية، دراسة الظواهر والقضايا التي تهتم بها، دون التعرف على مجموعة العوامل والظروف التي مهدت بالفعل لنشأتها وتطورها، ولتحليل العوامل الرئيسية أو الممهدة لظهور النظرية السوسيولوجية التقليدية، دور هام يساعد في التعرف على الصورة التي وصلت إليها هذه النظرية في العصر الحديث" .إن دراسة النظرية السوسيولوجية مرتبطة بتاريخ علم الاجتماع، فلقد ظهر هذا العلم نتيجة طبيعة لظهور المجتمع الصناعي والرأسمالي " (عبد الرحمن،2003،ص 48). وعليه هناك العديد من العوامل التي ساهمت في ظهور النظرية السوسيولوجية لعل أهمها:

1. **العوامل الفكرية:** وتمثلت هذه العوامل في الآراء والأفكار و الاتجاهات النقدية التي ظهرت في أوروبا خلال عصر التنوير، وظهرت فلسفة عصر التنوير نتيجة الآثار التي أحدثتها النهضة الأوروبية في تطوير المجتمع الأوروبي وتغييره، وقامت فلسفة عصر التنوير على حركة النقد الاجتماعي للواقع الأوروبي بكافة جوانبه.
2. **العوامل الاقتصادية:** وتتمثل في الثورة الصناعية (نشأة النظام الرأسمالي) التي حدثت في القرن الثامن عشر والتي بدأت في انجلترا حيث أحدثت الثورة العلمية تغييرات ف علم الاجتماع و تحديد مشكلاته وبلورة مفاهيمه في ظروف العمل والتحول الذي طرأ على نظام الملكية وظهور المدينة الصناعية و التقدم التكنولوجي ونظام المصنع الحديث والاستعمار وظروفه بالإضافة لظهور الثروات المعدنية (الزيود،2010، ص18).

لقد اهتمت النظرية السوسيولوجية بدراسة العديد من القضايا و المشكلات المصاحبة لعملية ظهور المصنع ونشأة الرأسمالية الصناعية و التي تمثلت في ظهور الطبقات العمالية وما صاحبها من تطورات وعلاقات العمل و الانتاج، أو ما يعرف في أوروبا بالحركات العمالية وعلاقتها بالطبقات الاجتماعية الأخرى و لاسيما الطبقات الرأسمالية. كما كانت عملية ظهور المصانع أو الشركات الصناعية كمؤسسات للعمل و الانتاج موضع اهتمام للعديد من رواد علم الاجتماع. فلقد ركزت الكثير من تحليلات علماء الاجتماع و نظرياتهم حاول قضايا الانتاج، التنمية التكنولوجية، وتطور الظروف الفيزيقية وتحسينها، علاقات العمل ، و الانتاج و التوزيع والاستهلاك..(عبد الرحمن،2003،ص 20_21).

3. العوامل السياسية:

حيث تعتبر الثورة الفرنسية سنة 1789 الحدث الأبرز الذي أثر في مسيرة علم الاجتماع و النظرية السوسيولوجية حيث انتقلت عقول المفكرين إلى عقول المثقفين ثم إلى العامة انفسهم وترجمت الثورة اعلان حقوق الانسان والمواطن ومبادئ الحرية والإخاء والمساواة.

الثورة الفرنسية 1879:

وصفها الكثير من المؤرخين بأنها أكبر حدث سياسي و اجتماعي في العصر الحديث، و ذلك لما أحدثته من أثر واضح على المجتمعات الأوروبية آنذاك ويمكن تمييز نوعين من النتائج:

1. **نتائج ايجابية: إعلان حقوق الانسان، حق الملكية و العمل و ممارسة الحياة السياسية و القانونية.. ألغاء فكرة الطبقية الدينية وسيطرة الكنيسة على الأفراد و الجماعات والمجتمعات، تحديث العادات و التقاليد والاعراف و القوانين و الثقافات، تغييرات على مستوى البناءات و النظم الاجتماعية الموجودة..**
2. **نتائج سلبية: ظهور الكثير من مظاهر التصدع و التفكك و الانهيار البناءات و النظم والسلوكيات الاجتماعية نتيجة لمجموعة الحريات الفردية و الجمعية التي اعطيت للأفراد و الجماعات التي أصبحت تهدد مقومات المجتمع الانساني.**

كل هذه المشكلات ظهرت كأحد القضايا الموجهة لكثير من علماء الاجتماع والمنظرين السوسيولوجيين لهذا العلم، ولا سيما عند تناولهم لهذه المشكلات على المستوى النظري و الميداني (الامبريقي) في نفس الوقت.

المحاضرة الرابعة: البنائية الوظيفية التقليدية (الكلاسيكية)

_ اوغست كونت_

أولا _ أوغست كونتAugust Conte (1798_1857)

ثانيا_ منهجه العلمي

ثالثا_ قانون المراحل الثلاث

رابعا_ موضوع علم الاجتماع

المحاضرة الرابعة: البنائية الوظيفية التقليدية (الكلاسيكية)

_ اوغست كونت_

يرجع كثير من منظري علم الاجتماع إلى أن أفكار البنائية الوظيفية، تمتد جذورها إلى ما قبل نشأة علم الاجتماع ذاته. ولا سيما في أفكار المدرسة الفرنسية و البريطانية و الألمانية والتي ظهرت في مرحلة التنوير ومهدت لظهور علم الاجتماع من امثال أفكار مونتيسكيو، و بودان، و هوبز و سان سيمون..

و يعد كل من اوغست كونت و سبنسر و دور كايم و فيبر الرواد الأوائل لعلم الاجتماع خلال القرن التاسع عشر، هؤلاء و غيرهم ممن يصنفون على أنهم الجيل الاول من رواد البنائية الوظيفية، والتي جاءت تصوراتهم في الفترة من أواخر القرن التاسع عشر و حتى النصف الأول من القرن العشرين – الوظيفية الكلاسيكية).و يمكن أن نذكر اسهامات بعض منهم على سبيل المثال لا الحصر، اوغست كونت و إميل دور كايم.

أولا _ أوغست كونت August Conte (1798_1857):

يعتبر أوغست كونت من مؤسسي علم الاجتماع وعالم و فيلسوف فرنسي، من أصحاب نظرية التقدم الخطي من حيث اتجاه التغير، وفي تفسيره يعتبر من فلاسفة التاريخ.

وكان أوغست كونت أول من أطلق على العلم السوسيولوجيا أو علم الاجتماع و أشار إلى أن الموضوع الرئيسي للعلم هو دراسة الظواهر الاجتماعية دراسة نظرية مجردة ولم يحاول تعريف هذه الظواهر أو تحديد خصائصها على النحو الذي فعله دور كايم فيما بعد. وكان تفكير كونت انعكاسا للأحداث المضطربة التي اتسم بها عصره فقد ادخلت الثورة الفرنسية تغييرات مهمة على المجتمع و كان التصنيع المتنامي قد بدأ بتعديل أساليب الحياة التقليدية للفرنسيين، ومن هنا سعى كونت لوضع علم جديد للمجتمع لتفسير القوانين التي تنظم حياة العالم الاجتماعي مثلما هي الحال في العالم الطبيعي(الزيود،2012، ص 51).

تعد النظرية الوضعية عند أوغست كونت أولى النظريات السوسيولوجية الكلاسيكية والتي أسهمت عموما في وضع أسس النظرية البنائية الوظيفية التقليدية التي انتشرت في اوروبا الغربية و الولايات المتحدة الأمريكية بعد ذلك.

جاءت تصورات " كونت" العامة حول طبيعة الآثار و النتائج التي تركتها كل من الثورة الفرنسية، بمثابة تحليل واقعي لطبيعة التصورات و التغيرات المتلاحقة، التي ظهرت بعد ذلك خلال المجتمع الصناعي الحديث الذي عاصر نشأته و تغيره و تطوره. ومن ثم فلقد جاءت تصوراته كنوع من التوجيه النظري و الفكري الذي يعتمد على التحليل و التفسير، و الذي يتبنى خط النموذج العلمي في صورة مستمرة، وهذا ما ظهر على سبيل المثال في تطويره **للفيزياء الاجتماعية Social Physics** و الذي أطلق عليها بعد ذلك **علم الاجتماع Sociology** و جعل من هذا العلم و منهجه وطرق فهمه وتفسيره كنوع من العلوم الجديدة.

ثانيا_ منهجه العلمي:

ركز " كونت" على ان يوضح طبيعة المنهج الذي يجب أن يستخدمه علم الاجتماع و يهتم أولا و أخيرا بملاحظة الظواهر و السعي نحو تصنيفها. كما يجب أن يهتم بدراسة الأسباب التي تؤدي إلى حدوث الظواهر، وذلك عن طريق استخدام ما يعرف بالعوامل العلية أو المسببة لحدوث الظواهر، كما حرص لاستبعاد كافة التفسيرات الطبيعية أو الميتافيزيقية، و التي تهتم بدراسة و تبرير حدوث الظواهر الاجتماعية أو تكرار حدوثها. ويؤكد على أن مهمة العلم لا تهدف إلى الوصول للحقائق الكاملة أو المطلقة مثلما تفعل العلوم و الدراسات اللاهوتية الدينية، بقدر ما يهتم بدراسة العلاقات التي ترتبط بالواقع الموجود بالفعل.

وفي نفس الوقت، حرص كونت لعقد مقارنة بين العلوم الإنسانية و العلوم الطبيعية، وإلى أي حدّ تطورت العلوم الأخيرة بفضل تطوير مناهج و طرق البحث الاجتماعي. ومن ثم، يجب على علم الاجتماع أن يتبنى المنهج العلمي عند دراسته للظواهر الاجتماعية، وذلك من أجل الاستفادة من هذا العلم لإعادة تنظيم المجتمع، الذي حدثت فيه العديد من التغيرات السياسية نتيجة للثورة الفرنسية و الثورة الصناعية أو ظهور مجتمع المصنع الحديث (عبد الله محمد عبد الرحمن،

2003، ص 125). ومن منظور علمي ومنهجي متميز، ركز كونت على تحديد **أربعة اجزاء تكون المنهج العلمي**، و التي حددها في ضوء نظريته عن المعرفة الوضعية هي: **الملاحظة ، و التجربة، و المقارنة و المنهج التاريخي**. كما حاول أن يربط بين هذه المكونات الأربعة الأساسية للمنهج العلمي، الذي يجب أن يهتم به علم الاجتماع، و بين وجود نظرية عامة توجه البحث العلمي نحو تحقيق أهدافه والوصول إلى قوانين يمكن استخدامها في دراسة و تحليل الظواهر و المشكلات الاجتماعية. كما ركز كونت على أهمية المنهج التاريخي وذلك من أجل البحث عن القوانين العامة للتغير المستمر.

ثالثا_قانون المراحل الثلاث:

عندما اقتنع كونت بأن التنظيم العقلي هو أساس تنظيم المجتمع أخذ يبحث عن مجموعة من المبادئ التي تتفق بصددها جميع العقول. وتوصل في تتبعه لتطور منهج التفكير الإنساني إلى قانونه الشهير باسم " قانون المراحل الثلاث". وقد حدد كونت صيغة هذا القانون في هذه العبارة:" بناء على طبيعة العقل الإنساني نفسها لا بدّ لكل فرع من فروع معرفتنا من المرور في تطوره بثلاث حالات متعاقبة : الحالة اللاهوتية ، و الحالة الميتافيزيقية (أو التجريدية)، و الحالة الوضعية (العلمية).(السيد محمد بدوي،1994، ص 110_111). و طريقة التفكير الأولى (أي اللاهوتية) هي نقطة البدء للذكاء الإنساني، و الثالثة (أي الوضعية)، هي حالته النهائية الثابتة، أما الثانية (أ] الميتافيزيقية) فإنها فقط مرحلة انتقال بينهما.

1. المرحلة اللاهوتية:

قصد كونت بالحالة اللاهوتية الطريقة التي تفسر الظواهر بالرجوع إلى إرادة الآلهة، حيث أن مستوى التفكير الاجتماعي الذي كان يتم فيه عزو أسباب الظواهر الاجتماعية وحوادث الأشياء إلى أسباب إلهية، بمعنى تحليل الظواهر انطلاقا من خلفية نظرية دينية كنسية. و يحدد كونت القوى التي يعتقد الناس أنها تسيطر على حياتهم في : الرب و الروح و الشياطين، وهي التي تخطط لمسيرة المجتمع وتقدمه، و تحقق طموحاته ويصف كونت هذه المرحلة بأنها مرحلة التفكير البدائي الإنساني(عامر مصباح،2010، 90).

2. المرحلة الميتافيزيقية:

تعد مرحلة التفكير الميتافيزيقي مرحلة انتقال بين الحالة الدينية و الحالة الوضعية. و الواقع ان العقل البشري في هذه المرحلة لم يغير كثيرا من طرق تفكيره ولا من الوسائل التي يبحث بها عن

ماهية الأشياء، فكل ما كان يشغله هو معرفة السبب أو العلة الأولى للظواهر التي تقع. لذلك فبعد أن كان في المرحلة اللاهوتية يرجع كل شيء إلى قوى خارجية تتمثل في الآلهة و الأرواح الخفية، أصبح في المرحلة الميتافيزيقية بتخيل قوى وخواص أولية كامنة داخل الأشياء نفسها وجعل منها المحرك الأول او السبب الأول للظواهر المختلفة، فالأجسام تتحد لأن بينها نوعا من التآلف و النبات ينمو لأنه يتمتع بروح نامية و الحيوان يحس لأنه وهب روحا حساسة و هكذا. وآخر ما وصل إليه هذا النوع من التفكير هو الوصول إلى قوة وحيدة لتفسير الأشياء على نمط الإله الواحد ولكن بدلا من اسم " الإله" أطلق الفلاسفة على هذه القوة اسم " الطبيعة" فالطبيعة في نظرهم تفسر كل ما في الكون من ظواهر. وهذا النوع من التفسير لا يختلف عن سابقه إذ ان الغرض منه الوصول إلى العلة الأولى للأشياء ولكنه بدلا من أن يجعل هذه العلل خارج الأشياء جعلها كامنة في الأشياء(السيد محمد بدوي،1994، ص 112_113).

3. المرحلة الوضعية:

تتميز هذه المرحلة من التفكير الاجتماعي في نظر كونت_ بأن الفكر الإنساني قد وصل إلى أرقى مراحل تطوره في التفكير الموضوعي و العلمي، وأبرز ميزة تميز هذه المرحلة عن المراحل الأخرى هي استخدام المناهج العلمية وطريقة التفكير العلمي في التحليل الاجتماعي للظواهر الاجتماعية و المجتمع عموما وسيطرة العقل في الاستنباط و التحليل وصياغة القوانين و المقولات النظرية، وهي التي كان يعبر عنها بسيطرة العقلانية في التحليل الاجتماعي. ويتميز المجتمع في هذه المرحلة بتشكيل مفهوم الأمة، وتتراوح السيطرة السياسية بيم الحكومة المنتخبة و سيادة العلوم و المعرفة في المجتمع. (عامر مصباح،2010، ص 91).

من خلال مراحل هذا القانون، يرى اوغست كونت أن الفكر البشري قد تدحرج من الفكر اللاهوتي الديني البدائي إلى التفكير الوضعي المبني على المشاهدة التجريبية و تحليل الظواهر الاجتماعية بطريقة علمية بناء على الربط بين أسبابها الموضوعية و نتائجها كما هي جارية أمام الباحث

قانون المراحل الثلاث:

- **المرحلة اللاهوتية (الدينية)**
- **المرحلة الميتافيزيقية(الما وراء الطبيعة)**
- **المرحلة الوضعية (العلمية)**

رابعا_ موضوع علم الاجتماع:

القضية الكبرة الأخرى التي طرحها _أوغست كونت_ و أثرت بعد ذلك في أدبيات السوسيولوجيا النظرية إلى يومنا هذا، هي تقسيمه لعلم الاجتماع إلى ما أطلق على تسميته ب" الإستاتيكا الاجتماعية" و " الديناميكا الاجتماعية".

- **الإستاتيكا الاجتماعية:**

تهتم بدراسة حالة المجتمع و ظواهره الاجتماعية في وضعها الثابت، و تحليل الجوانب الثابتة و المستمرة من الموضوعات والأنساق الاجتماعية. و أحد مظاهر الاستاتيكا الاجتماعية هو النظام بما يمثله من قيم ومعايير و رموز، التي تتميز بطبيعتها الثابتة نسبيا. بمعنى آخر أن الإستاتيكا الاجتماعية تعني بدراسة النظام الاجتماعي في جوانبه الثابتة و المستمرة مع استمرار تفاعل الجماعة وعمل الأنساق الاجتماعية في انسجام و توازن ضمن حياة المجتمع و الإنسان.

من ناحية أخرى، صنف_ أوغست كونت_ المجتمع إلى ثلاثة مستويات: الفرد و الأسرة و الاتحادات الاجتماعية، و يجمع بين هذه المستويات الثلاثة اتحاد الإنسانية. و يرى كونت أن أشد هذه الوحدات ترابطا واتحادا هي الأسرة بحكم العامل الأخلاقي، و نتيجة للتنسيق بين المستويات تظهر الاتحادات الاجتماعية كالطبقة الاجتماعية و المدن التي تبنى على التعاون الشعوري، وما يعني أن الإستاتيكا الاجتماعية هو الثبات الذي عليه هذه الوحدات الاجتماعية و استمرارها ف بالمكان و الزمان (عامر مصباح ، 2019، ص 93)

- **الديناميكا الاجتماعية: (عبد الله محمد عبد الرحمن، 2003، ص 134_135)**

فهي مفهوم يشير إلى حالة التطور و التقدم و التغير و التفاعل الديناميكي الذي عليه المجتمع والطواهر الاجتماعية. و يشمل قوانين التغير الاجتماعي و العوامل المرتبطة به مثل طريقة الحياة ونمو السكان و مستويات التطور الاجتماعي والقوى. كما رأى كونت أن النظام الاجتماعي بشقيه الثابت (الاستاتيكي) و المتغير (الديناميكي) يتقدمان حسب قوانين التطور أو المراحل الثلاث من أجل الوصول إلى مرحلة الوضعية.

نمط المجتمع عند _ اوغست كونت_

- **الاستاتيكا الاجتماعية: قيم ومعايير و رموز، الاسرة ، الملكية و الفن و التنظيم الاجتماعي هذا ما يخص الطبيعة الاجتماعية، أما الطبيعة البشرية فتشمل الغرائز، العواطف، العقل و الذكاء...**
- **الديناميكا الاجتماعية: تتمثل في قوانين التغير الاجتماعي، و العوامل المرتبطة به مثل مستويات الضجر، طريقة الحياة، مستويات التطور الاجتماعي و القوى...**

تكمن أهمية تصورات " كونت" النظرية و الوضعية في نفس الوقت أنها تتبنى التركيز على أهمية العوامل الفكرية ومدى تأثيرها في عمليات التغير و التطور والإصلاح و التحديث المستمر في المجتمع الحديث. وهذا ما يوصف عموما كتابات " كونت" بأنها من أهم الكتابات المؤسسة للنزعة البنائية التطبيقية التقليدية و المحدثة في نفس الوقت. ولا سيما أن " كونت" رائد فكرتي البناء Structure و الوظيفة Function ، التي تعتبر بمثابة جوهر النظرية الوظيفية عامة. كما تكمن اهمية تصورات " كونت" من خلال تطويره وبالتحديد تأسيسه لعلم الاجتماع الوضعي و الذي أثر في توجيه الكثير من الدراسات التطبيقية العلمية لبحوث علم الاجتماع وضرورة تركيزها على التفسيرات الواقعية(الوصفية)، دون التركيز على القوانين المجردة أو السعي بصورة مستمرة لتبني المناهج بطرق وادوات جمع البيانات التي توجد لدى العلوم الطبيعية و التي قد أحرزت شوطا كبيرا في مجال البحوث النظرية و الميدانية عامة.(عبد الله محمد عبد الرحمن، 2003، ص 34_35)

المحاضرة الخامسة: البنائية الوظيفية التقليدية (الكلاسيكية)

_ إميل دور كايم (1858_ 1917)_

أولا_ إميل دور كايم Emil Durkheim

ثانيا_ قضاياه الأساسية:

1. **الظاهرة الاجتماعية**
2. **تقسيم العمل و التضامن الاجتماعي**
3. **الانتحار**
4. **الظاهرة الدينية**
5. **قواعد المنهج ودراسة الظواهر الاجتماعية**

المحاضرة الخامسة: البنائية الوظيفية التقليدية (الكلاسيكية)

_ إميل دور كايم (1858_ 1917)_

ترتبط النشأة الأكاديمية لعلم الاجتماع و نظرياته بإسهامات " دور كايم" السوسيولوجية، وخاصة أن هذه الاسهامات تتميز عن بقية اسهامات علماء المدرسة الفرنسية التقليدية مثل " سان سيمون" و " كونت"، لأنها أعطت الطبع الأكاديمي و العلمي المميز لعلم الاجتماع. لذلك يرى عدد من المنظرين للنظريات السوسيولوجية المعاصرة بأن " دور كايم" يعتبر من الرواد المميزين الذين أسهموا في تطوير ووضع أسس النظريات السوسيولوجية المبكرة خاصة و أن دور كايم أضفى الطابع الأكاديمي الشرعي على علم الاجتماع ككل.

أولا_ إميل دور كايم (1858_ 1917):

إميل دور كايم Emil Durkheim عالم اجتماع فرنسي و احد رواد علم الاجتماع الأساسيين و في نفس الوقت هو من رواد علم الأنثروبولوجيا، ساهم في تأسيس علم الاجتماع الحديث. كما يعد أحد مؤسسي المدرسة الفرنسية في علم الاجتماع بعد أوغست كونت أو ما يسمى بعلم الاجتماع الفرنسي.

ولد إميل دور كايم في 13أفريل عام 1858 في مدينة Epinal بمقاطعة اللورين Lorraine المقاطعة الفرنسية الشرقية من أسرة يهودية، و توفي عام 1917، ولقد عمل مدرسا لعلم الاجتماع بجامعة بوردو Bordeau، ثم رقي إلى مرتبة أستاذ في علم الاجتماع في نفس الجامعة في عام 1896، و في نفس الوقت أكمل بحثه لنيل شهادة الدكتوراه حول موضوع " تقسيم العمل الاجتماعي" و تمكن من نشر بحثه في عام 1893.(محمد علي محمد، 1983، ص 15).

توفي دور كايم تاركا وراءه إرثا سوسيولوجيا كبيرا مازال يؤثر في التفكير الاجتماعي إلى يومنا هذا، و ذلك من خلال مجموعة من العمال التي نشرها نذكر منها:

- تقسيم العمل الاجتماعي نشر عام 1893.
- قواعد المنهج في علم الاجتماع و نشر عام 1895
- الانتحار و نشر عام 1897

- تطور علم التربية في فرنسا عام 1938
- الأشكال الأولية للحياة الدينية عام1917

برزت نزعته الوظيفية بشكل واضح من خلال كتاباته حول نظام تقسيم العمل، و ما له من علاقة متينة بظاهرة التضامن الاجتماعي و الشعور الجمعي، و بالتالي فهو يعد الأب الروحي للمدرسة الوظيفية في علم الاجتماع من خلال إطلاقه صفة العضوية على التضامن الاجتماعي في المجتمعات الحديثة، وكذلك عدّ قيام أعضاء المجتمع (المؤسسات ، النظم، الطبقات، الأفراد) بالوظائف الموكلة إليهم شرطا لبقاء المجتمع و استمراره تماما كما يعد قيام أعضاء الكائن الحي بوظائفهما شرطا لبقاء ذلك الكائن.(معن خليل العمر،1991، ص 114).

ثانيا_ قضاياه الأساسية: (نيكولا تيماشيف،1997، ص168)

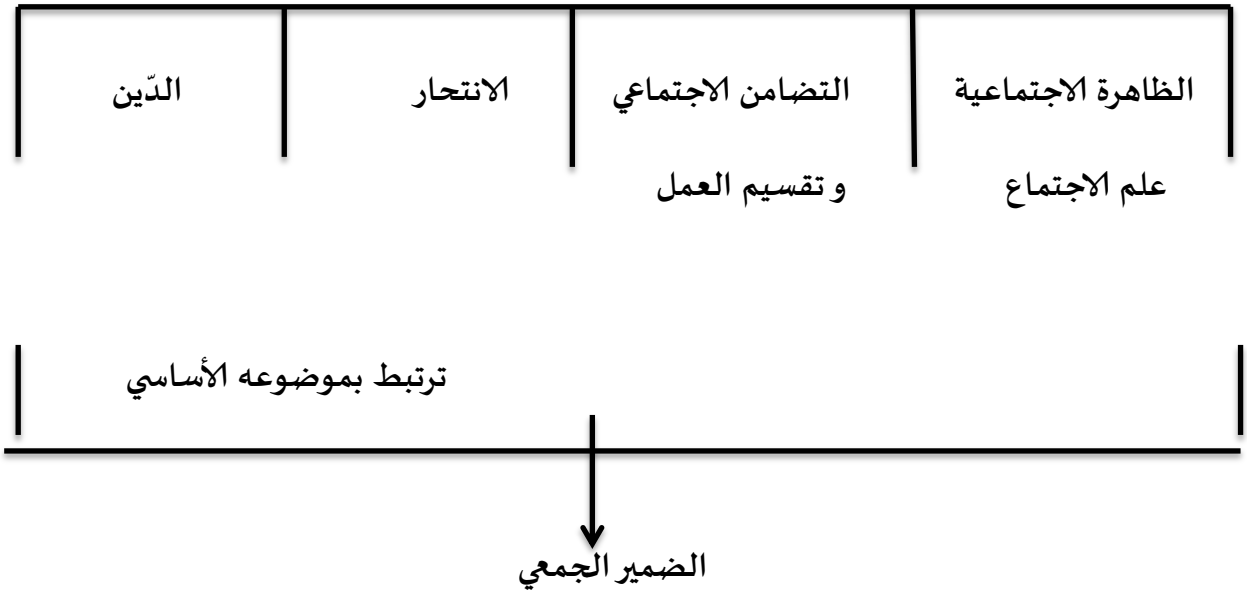

1. الظاهرة الاجتماعية:

يعرف إميل دور كايم الظاهرة الاجتماعي بأنها:" كل ضرب من السلوك ثابتا كان أم غير ثابت، يمكن أن يمارس نوعا من القهر الخارجي على الأفراد، أو هي كل سلوك يعم في المجتمع بأسره و كان ذا وجود خاص مستقل عن الصور التي يتشكل بها في الحالات الفردية. و أمثلة هذه الظواهر كثيرة في المجتمع كما يرى دور كايم كقواعد الأخلاق و الأسرة و الممارسات الدينية وقواعد السلوك المهني، و هذه الحقائق هي التي تشكل الميدان الحقيقي للدراسة السوسيولوجية كما يعتقد دور كايم.(القريشي، 2012، ص 332).

- **خصائص الظاهرة الاجتماعية عند دوركايم:**

يرى دور كايم أن للظاهرة الاجتماعية خصائص نوعية خاصة بها تختلف بها عن الظواهر الفردية حيوية كانت أو نفسية و هذه الخصائص هي : (القريشي، 2012، ص 336_337).

1. **موضوعية:** توجد الظاهرة بشكل مستقل عن الأفراد الذين أنتجوها، و هذا الوجود المستقل يعطي للظاهرة الاجتماعية صفة الموضوعية، أي لها وجودا خاصا خارج شعور الفرد لأنها ليست من صنعه بل يتلقاها من المجتمع الذي نشأت فيه.
2. **العمومية:** فالظاهرة الاجتماعية سواء كانت قواعدا أو اتفاقات مشتركة ام أنماطا من السلوك المنظم و المتكرر، فهي تتصف بأنها عامة بين غالبية أفراد المجتمع الواحد و جماعاته. فالأسرة مثلا توجد في جميع المجتمعات الانسانية عامة و لكنها بصيغ متعددة.
3. **إلزامية و قهرية:** يرى دور كايم بأن الظواهر الاجتماعية ملزمة و جبرية، إذ ينظر إليها الأفراد نظرتهم إلى ضرورة أو سلطة لها هيبتها ولا بدّ من احترامها، و أنها تستمد سلطانها عليهم مما زودت به من قوة قاهرة، أي انها تفرض نفسها على شعور الفرد و سلوكه ولا يشعر في كثير من الحيان بهذا القهر.
4. **تلقائية:** تمتاز الظاهرة الاجتماعية برأي دور كايم بأنها تلقائية أي أنها تنشأ نشأة تلقائية مستقلة عن إرادة الأفراد المكونين للمجتمع، فهي ليست من صنع فرد أو بضعة أفراد مجتمعين بل هي نتاج مجتمع ذاته.
5. **الترابط:** تمتاز الظاهرة الاجتماعية عند دور كايم بالترابط و هذا الترابط قد يكون ترابطا تاريخيا زمانيا في المكان الواحد أي ترابط بين الماضي و الحاضر و يبدو ذلك في ظهور موجات اجتماعية تنطوي على تكرار ظواهر او نزعات اجتماعية كانت موجودة في فترة زمنية ماضية، مثل عودة موضة ملابس كانت موجودة في الماضي، عودة أنظمة سياسية كانت موجودة في الماضي.. و قد يكون الترابط مكانيا في الزمان الواحد كالتأثير المتبادل بين الدول المتجاورة و اقتباس بعضها من بعض بسبب التجاور و التأثير المتبادل، كالظاهرة اللغوية، العادات و التقاليد وغيرها.
6. **انسانية:** ما يميز الظاهرة الاجتماعية بأنها انسانية أي تنشأ نشأن المجتمع وبهذه الصفة تتميز عن الظواهر التي تدرسها العلوم الطبيعية كالفلك و الرياضيات...

الظاهرة الاجتماعية عند دور كايم:

هي أنماط من السلوك و ضروبا من التفكير و الشعور تتميز بأنها خارجة عن الفرد كما تتمتع بالقوة و القهر.

خصائصها: موضوعية ، عامة، إلزامية و قهرية، تلقائية ، ترابطية و انسانية

2. تقسيم العمل و التضامن الاجتماعي:

كان دور كايم ، كغيره من مؤسسي علم الاجتماع ، مهتما في زمنه بالتغيرات التي قد تخلق حالة من التحول الاجتماعي. و كان معنيا بصورة خاصة بالتضامن الاجتماعي و الأخلاقي، أي بالأواصر التي تشدّ المجتمع بعضه إلى بعض و تمنعه من الانزلاق إلى الفوضى. و يمكن الحفاظ على التضامن عندما يندمج الأفراد بنجاح في مجموعات اجتماعية وتنظم حياتهم مجموعة من القيم و العادات المشتركة. و في أول مؤلفاته الرئيسية، تقسيم العمل في المجتمع (1893)، قدم دور كايم تحليلا للتغير الاجتماعي قال فيه إن مرحلة التصنيع قد أدّت إلى بروز نوع جديد من التضامن ، و من ثم وضع دور كايم خطا مميزا بين نوعين من التضامن هما: **التضامن الآلي و التضامن العضوي**، و ربط بينهما و بين تقسيم العمل في المجتمع و التوسع و التمايز بين المهن و الحرف التقليدية.

أ_ التضامن الآلي (التضامن الميكانيكي):

يصف هذا النوع المجتمعات " البدائية" القبلية أو العشائرية، لا يتمايز الناس نسبيا بعضهم عن بعض، و يعود ذلك أن أغلبية أعضاء المجتمع يكونون منخرطين في مهن متشابهة، إذ يشترك الجميع بالأنشطة نفسها، ويتمسكون بمجموعة من القيم و القواعد المشتركة (وهو ما يسمى بالضمير الجمعي) التي تحقق تماسكهم معا.

ب_التضامن العضوي:

يصف المجتمعات المتقدمة و " الفنية" أو المجتمعات الصناعية الحديثة، ينشأ التضامن العضوي من الاختلاف التكاملي و الاعتمادية المتبادلة التي تنتج من التمايز و التخصص الوظيفي. ويصبح هنا التخصص و الاختلاف الناجمان عن تقسيم العمل أساسا للتضامن الاجتماعي، بدلا من أن يكون عنصرا مقوضا له، كما ينشأ التماسك كنتيجة للروابط الاجتماعية المعززة نتيجة

لذلك، وتأتي النزعة الفردية كقيمة جمعية يتشاركها كامل المجتمع (جون سكوت و آخرون،2013، ص 116_117)

الضمير الجمعي:

المجموع الكلي للمعتقدات و العواطف العامة بيم معظم أعضاء المجتمع، و التي تشكل نسقا له طابع متميز. ويكتسب هذا الضمير العام واقعا ملموسا. فهو يدوم خلال الزمن و يدعم الروابط بين الأجيال...يتخلل حياتهم و يكتسب مزيدا من القوة والتأثير و الاستقلال. بمعنى آخر الضمير الجمعي هو تعبير عن فكرة الجماعة في المجتمع.

3.الانتحار:

إن تحليل إميل دور كايم لظاهرة الانتحار في كتابه الذي نشر عام 1897 يمثل معلما بارزا في بحوث

علم الاجتماع التي تتقصى العلاقة بين الفرد و المجتمع. فعلى الرغم من أن البشر يعتبرون أنفسهم أفرادا يتمتعون بالإرادة وحرية الخيار، إلا أن أنماط سلوكهم كثيرا ما يجري تشكيلها و صياغتها. وتظهر دراسة دور كايم أنه حتى في ما يبدو أنه فعل شخصي محض مثل الانتحار ، فإن العالم الاجتماعي له أثره.

وقد أجريت قبل دور كايم دراسات عن الانتحار، غير أنه هو الذي أصر على تقديم تفسيرات سوسيولوجية لهذه الظاهرة. كما اعترفت الكتابات السابقة بتأثير العوامل الاجتماعية على الانتحار، غير أنها تطرقت إلى اعتبارات من نوع العرق ، و المناخ و الاضطرابات العقلية لتفسير ميل الفرد ما إلى الإقدام على الانتحار، أما بالنسبة لدور كايم فإن **الانتحار هو حقيقة اجتماعية** لا يمكن تفسيرها إلا بالحقائق اجتماعية أخرى، فالانتحار أكثر من مجرد تجميع للحقائق مفردة، لأنه يمثل ظاهرة تحمل أنماطا من الخصائص.

وفحص دور كايم السجلات الرسمية للانتحار في فرنسا، فاكتشف أن فئات محددة من الناس أكثر ميلا للإقدام على الانتحار من غيرهم، إذ وجد، على سبيل المثال: (أنتوني غدنز،2005، ص 66).

- زيادة معدلات الانتحار في أوساط الرجال مقارنة بالنساء
- زيادة معدلات الانتحار في أوساط البروتستانت مقارنة بالكاثوليك
- زيادة معدلات الانتحار في أوساط الأثرياء مقارنة بالفقراء
- زيادة معدلات الانتحار في أوساط العازبين مقارنة بالمتزوجين

- انخفاض معدلات الانتحار في في أوقات الحرب وارتفاعها في أوقات التغير أو عدم الاستقرار الاقتصادي.

و خلص دور كايم من هذه النتائج إلى أن ثمة قوى اجتماعية خارجة عن نطاق الفرد تؤثر في معدلات الانتحار. و ربط هذا التفسير بمفهوم التضامن الاجتماعي و بنوعين من الروابط داخل المجتمع هما: **التكامل الاجتماعي و التنظيم الاجتماعي.**

وكان رأي دور كايم أن الأشخاص الذين يدمجون بقوة في المجموعات الاجتماعية و الذين تنظم تطلعاتهم المعايير الاجتماعية هم أقل ميلا للانتحار، و رسم الملامح الرئيسية لأربعة أنواع من الانتحار اعتمادا على الوجود والغياب النسبيين للتكامل و التنظيم.

1. **الانتحار الأناني:**

يتميز بانخفاض درجة التكامل في المجتمع، و يقع عندما يعاني الفرد من العزلة أو عندما تضعف أو تنقطع علاقاته مع المجموعة، وعلى سبيل المثال يمكن تفسير انخفاض معدلات الانتحار بين الكاثوليك بارتفاع درجة التماسك في الجماعة الجماعية عكس البروتستانت، كما يحول الزواج دون الانتحار ، لأنه يدمج الفرد في شبكة من العلاقات الاجتماعية المستقرة بينما يعيش العازبون في عزلة نسبية في المجتمع، و يرى دوركايم أنه يمكن أن نعزو انخفاض معدلات الانتحار خلال الحرب إلى ارتفاع درجة التكامل الاجتماعي في تلك الفترة. (أنتوني غدنز، 2005، ص 66_67).

2. **الانتحار اللامعياري(الضياع):**

ناجم عن غياب التنظيم الاجتماعي، و يشير هذا النوع من الانتحار إلى حالة فقدان البيئة الاجتماعية لقيمة المعايير الاجتماعية الضابطة لسلوك الفرد الاجتماعي. فالضعف المعياري الحاد للبيئة الاجتماعية وتراخي القيود والمعايير الاجتماعية وفقدانها لقيمتها الرمزية بشكل مفرط، يدفع بالفرد إلى ظاهرة الإقدام على الانتحار. بمعنى فقدان نشاط الفرد للتنظيم والضبط الايجابي

بفقدان المعايير التي تضبطه و تنظمه، أي وجود بيئة اجتماعية غير منظمة و أقرب إلى حالة الفوضى والانحلال و الانحراف.(عامر مصباح، 2010، ص 137_138).

3. الانتحار الإيثاري:

يشير هذا النوع من الانتحار إلى حالة الاندماج الكلي لشخصية الفرد وحاجاته في الجماعة أو الأسرة التي تؤدي به إلى فقدان شخصيته، ومن ثم الاقدام على الانتحار، حيث يعبر عن درجة كبيرة من التضامن الاجتماعي و ذوبان الفرد في الجماعية ، يوجد في المجتمعات البدائية أو المجتمعات التي غالبا ما تتميز بالتضامن الآلي و يوجد أيضا في التنظيمات العسكرية الحديثة(الانتحاريين اليابانيين في قاعدة بيرل هاربر الأمريكية).

4. الانتحار القدري:

رغم أن دور كايم لم يتلمس علاقة أو أهمية لهذا النوع بما كان عليه مجتمعه آنذاك، إلا أنه اعتبره نتاجا لوضع يكون فيه المرء واقعا تحت وطأة التنظيم الاجتماعي القاهر. و في مثل هذه الحالة يفضي قمع الفرد إلى حالة من العجز الكامل أمام القدر و المجتمع.

التكامل الاجتماعي:

قوة الروابط الاجتماعية التي توحد بين أعضاء المجتمع وتربطهم بروابط توحدهم و تؤلف بينهم و قد تؤثر في احتمالات حدوث الانتحار

إن الشخص الذي يقدم على الانتحار من وجهة نظر دور كايم يفعل ذلك في كثير من الأحيان بسبب العزلة الاجتماعية و هذا طبعا من عدة وجهات نظر لكن هناك استثناء (وهنا يأخذ دور كايم في الاعتبار الانتحار من أجل الجماعة)، لذلك فإن الانتحار هو عمل فردي لكن أسبابه اجتماعية بالدرجة الاولى.(Luc Van Campenhoudt et Nicolas Marquis , 2014 , p103)

و منذ نشر دراسة الانتحار، ظهرت عدة بحوث تعارض منهجية دور كايم، لاسيما استخدامه الإحصائيات الرسمية ورفضه المؤثرات غير الاجتماعية في الانتحار و إصراره على على تصنيف جميع

أنوع الانتحار بعضها مع بعض. و رغم ذلك فإن هذه الدراسة لا تزال تحتفظ بمكانتها المتميزة كما ان مقولته الرئيسية تظل على قدر عال من الأهمية: **إن ما يبدو في ظاهره أفعالا فردية مثل الانتحار تتطلب تفسيرات اجتماعية في جميع الحالات.**

4.الظاهرة الدينية:

لم يقم أحد من علماء الاجتماع بمثل ذلك الجهد الفكري الذي بذله دور كايم في تعريف الدين و الذي أورده في كتاب " الأشكال الأولية للحياة الدينية" مفاده أن الدين هو " نسق موحد من المعتقدات و الممارسات ذات الصلة بأشياء مقدسة، بمعنى أنها أشياء متفردة ذات حرمة_ معتقدات وممارسات تتوحد في مجتمع أخلاقي واحد يسمى دار العبادة، أفراده هم أتباع هذه الدار (جون سكوت و آخرون،2013، ص 203).

و يحدد إميل دور كايم معنى الأشياء المقدسة في أنها :" تلك التي تحميها و تعزلها المحرمات" و ذلك وفق الدراسة التي قام بها حول الوثنية في قبيلة أريونتا في أستراليا، و لا ينحصر نطاق الأشياء المقدسة في الكائنات الشخصية التي يسميها عابدوها آلهة أو أرواح الخير، و لكن تضم إلى جانب ذلك كل ما يعتقد أنه يملك قدرة خارقة غيبية مثل صخرة، شجرة، نبعا...يكمن معيار التقديس في نظر دور كايم في العلاقات الاجتماعية وليس في طبيعة الأشياء نفسها. فهو يقول في وصف الديانة الوثنية التي درسها:" إن الإله هو مجرد تعبير رمزي عن المجتمع"(عامر مصباح،2010، ص 140).

و قد كان المجتمع الذي حلّل فيه دور كايم الظاهرة الدينية، قبيلة أسترالية كما سبق و أن ذكرنا تدعى " أريونتا Arunta". و يستند هذا التحليل على افتراض مفاده أن الأريونتا تمثل مرحلة أولية في النمو التطوري الديني، ومن ثم سوف يساعد هذا المجتمع البدائي على ظهور الممارسات الدينية في أبسط صورها الطبيعية الأصلية. ويقول دور كايم : أننا نحاول أن ندرس أبسط الديانات البدائية كما هي معروفة واقعيا، و كما توجد في مجتمع لم يسبقه أي مجتمع آخر من حيث البساطة". و يتخذ من الطوطمية وحدة لتحليل الظاهرة الدينية في قبيلة أريونتا، باعتبارها الصورة البسيطة و الأولية للممارسات الدينية. و يشير مصطلح الطوطم إلى الاعتقاد في وجود قوة خفية ومقدسة أو وجود مبدأ يضفي الحياة على الطوطم، و يقدم عقابا طبيعيا لانتهاك المحرمات الطوطمية. كما أنها تحدد المسؤوليات الأخلاقية التي يجب مباشرتها نحو هذا الطوطم، و غالبا ما تتخذ العشيرة اسما

معينا في البيئة عادة ما يكون حيوانا أو نباتا، و تمارس بعض الطقوس اتجاهه، و يعتبر هذا الشيء طوطما مقدسا بالنسبة لها.(عامر مصباح،2010، ص 141).

الظاهرة الدينية هي ظاهرة اجتماعية بالنسبة لدور كايم، تملك جميع خاصياتها التي تقدم الحديث عنها.

5. قواعد المنهج ودراسة الظواهر الاجتماعية:

تعتبر قيمة إسهامات " دور كايم" البحثية و المنهجية في تحديده لقواعد المنهج العلمي، و التي ظهرت في أولى مؤلفاته السوسيولوجية المتميزة وجعلته من أوائل علماء البحث العلمي، إذ حدد الخطوات الأساسية التي يجب أن يقوم عليها منهج البحث الاجتماعي و الذي يعزز بدوره تطور النظرية السوسيولوجية، و طرق وأساليب و عمليات جمع البيانات عن الظواهر و الشواهد الواقعية، و لعل أبرز القواعد الأساسية التي أشار إليها دور كايم عن منهج البحث الاجتماعي هي كما يلي: (عبد الله محمد عبد الرحمن،2003، ص 217_218).

1. ملاحظة الظاهرة الاجتماعية و تسجيلها و اعتبارها حقائق فردية مستقلة عن ذاتية الباحث، بعيدا عن ارتباطها بمجموعة الأفكار و الغايات الايديولوجية التي تبعد الباحثين عن معرفة الأسباب الحقيقية وراء ظهورها أو تكرارها.(أهمية التزام الباحث بالموضوعية).
2. ضرورة أن يهتم الباحث بدراسة الظواهر الاجتماعية، و اعتبارها وحدة متكاملة و مترابطة، فالظواهر تؤثر في بعضها البعض و يوجد بينها تفاعل مستمر . و هذا يتمثل في أنماط التفاعل بين النظام الاقتصادي و النظام الديني، و السياسي، فكل منهم يؤثر في الاخر بصورة مباشرة، و لا سيما أن النظم الاجتماعية تعتبر ظواهر اجتماعية متكاملة.
3. استبعاد الاستعانة بالأساليب الاستنباطية الفلسفية و أيضا الأساليب السيكولوجية التي تعتمد على منهج الاستنباط الداخلي(النفسي) في تفسير الظواهر الاجتماعية التي يجب دراستها بصورة واقعية كما هي في الواقع.
4. يجب على الباحث الاجتماعي أن يبتعد تماما عن الأحكام القيمية أو التصورات المسبقة التي تكون لدى الباحثين عن الظواهر المدروسة.
5. أكد دور كايم على أهمية الاستعانة مناهج الملاحظة و المشاهدة وأيضا استخدام المنهج التاريخي ، الذي يساعدنا في دراسة الوقائع و الحقائق و الظواهر الاجتماعية.

6. بالإضافة إلى المناهج السابقة ، حرص دور كايم كغيره من رواد النظرية البنائية الوظيفية التقليدية أن يؤكد على أهمية الاستعانة بالمنهج المقارن عند دراسة الوقائع و الظواهر الاجتماعية.(تطور الظواهر من المرحلة البدائية أو التقليدية حتى الحديثة).
7. اهتم دور كايم بالإحصاء في جمع البيانات و تحليلها حول الظاهرة المراد دراستها، و اعتبر الإحصاء المادة الخام التي يجب الاعتماد عليها في بداية الظواهر الاجتماعية وقياسها بصورة كمية، أو الاعتماد عليها أيضا في التحليلات الكيفية.
8. يؤكد دور كايم على أن وظيفة علم الاجتماع النظرية و المنهجية تتمحور حول التفسير السببي للظواهر و القضايا و المشكلات الاجتماعية. وينتج عن هذه الوظيفة، أن علم الاجتماع مثل العلوم الطبيعية التي تتبنى مناهج علمية متطورة تسعى دائما للانتقال من البحث عن الأسباب إلى الكشف أيضا عن الوظائف.
9. اهتم دور كايم بتحديد قواعد المنهج، وضرورة أن يصل إلى عدد من القوانين التي يتم استخلاصها بصورة دقيقة. ولا سيما أن عملية الوصول إلى القوانين تعتبر من أهداف علم الاجتماع و خصائصه العلمية. كما حدد دور كايم إمكانية صياغة القوانين سواء بصورة كمية أو كيفية أي عن طريق استخدام الأرقام الكمية، أو إبراز الخصائص أو الصفات العامة الكيفية، وهذا في مجمله يعد نوعا من الانجاز العلمي لعلم الاجتماع ويدعم مكانته بين العلوم الطبيعية و الاجتماعية في نفس الوقت.

تكمن اهمية اسهامات " دور كايم" في النظرية السوسيولوجية خاصة و علم الاجتماع عامة، لأنها أضفت أولا على هذا العلم طابع الشرعية الأكاديمية، واصطبغت تحليلاته بالأفكار العلمية و تناوله لكثير من المشكلات و القضايا الوظيفية، وهذا ما تمثل في منهجيته الوضعية التي ركز عليها عند تحديده لقواعد المنهج لعلم الاجتماع. و غن كان دور كايم قد عزز النزعة الوضعية التي أرسى قواعدها " كونت"، إلا أنه وضع الجذور العلمية الأولى للاتجاه البنائي الوظيفي الذي حدد بصورة مميزة، ما ينبغي أن تكون عليه عملية دراسة و تحليل الظواهر الاجتماعية ، و كيفية معالجتها باعتبارها حقائق واقعية ملموسة.

المحاضرة السادسة: البنائية الوظيفية الحديثة

_ تالكوت بارسونز و روبرت ميرتون_

أولا_ مفهوم الوظيفية

ثانيا_ الافتراضات العامة للوظيفية

ثالثا_ تالكوت بارسونز: توزان النسق الاجتماعي والمحافظة عليه

رابعا_ روبرت ميرتون

خامسا_مفردات التحليل الوظيفي

المحاضرة السادسة: البنائية الوظيفية الحديثة

_ تالكوت بارسونز و روبرت ميرتون_

ترى المدرسة الوظيفية أن المجتمع نظام معقد تعمل شتى أجزائه سويا لتحقيق الاستقرار والتضامن بين مكوناته. ووفقا لهذه المقاربة فإن على علم الاجتماع استقصاء علاقة مكونات المجتمع بعضها ببعض وصلتها بالمجتمع برمته. ويمكننا على هذا الأساس أن نحلل على سبيل المثال، المعتقدات الدينية والعادات الاجتماعية بإظهار صلتها بغيرها من مؤسسات المجتمع لأن أجزاء المجتمع المختلفة تنمو بصورة متقاربة بعضها مع بعض.

ولدراسة الوظيفية التي تؤديها إحدى الممارسات أو المؤسسات الاجتماعية فإن علينا أن نحلل ما تقدمه المساهمة لضمان ديمومة المجتمع. وطالما استخدم الوظيفيون ومنهم "أوغست كونت و إميل دوركايم" (كما سبق و أن ذكرنا ذلك في المحاضرات السابقة) مبدأ المشابهة العضوية للمقارنة بين عمل المجتمع بما يناظره في الكائنات العضوية، حيث يرى هؤلاء أن أجزاء المجتمع وأطرافه تعمل سويا وبصورة متناسقة كما تعمل أعضاء الجسم البشري، يعني الكل المترابط و الكل يؤثر في الكل.

أولا_مفهوم الوظيفية:

تعرف الوظيفية على أنها :" طريقة تحليل نظامية حيث البنى التي يتكون منها النظام والوظائف التي تؤديها تلك البنى...يفترض هذا المنهج أن لأي نظام سياسي وظائف معينة ينبغي تأديتها إذا أريد أن يستمر النظام." كما يمكن تعريف الوظيفية بأنها: مصطلح يشير إلى نظرية كبرى في علم الاجتماع، ثم طبقت في علوم أخرى كعلم السياسة وعلوم الإعلام والاتصال وعلم النفس، وعلم الإدارة و غيرها من العلوم الإنسانية. وهي تدرس الظواهر الاجتماعية من خلال تحليل وظائفها أو تدرس المجتمع من خلال تحليل أنظمته النسقية. وهي تيار محافظ لا ينشد التغيير الراديكالي وإنما إذا كان و لا بد من التغيير فيجب أن يكون تغييرا جزئيا في الأنظمة الفرعية للنظام الكلي، لكي لا يختل النظام الكلي. وتؤكد فكرة الوظيفية على فكرة التكامل بين أنظمة المجتمع الفرعية للحفاظ على النظام الكلي، ويتحقق التكامل داخل النظام الكلي عبر عملية التنشئة الاجتماعية و المعايير الاجتماعية والأفكار والرموز الثقافية (عامر مصباح، 2010، ص 212).

تنظر الوظيفية للمجتمع نظرة تكاملية في البناء ، تساندية في الوظائف، فالمجتمع بناء اجتماعي يضم انساقا فرعية، و لكل نسق فرعي بناء داخلي خاص به يضم انساقا فرعية و لكل نسق فرعي

عام له دور ووظيفة في تكامل البناء الاجتماعي وهذا الدور تدعمه الأنساق الفرعية الصغيرة المكونة لهذا النسق، ولابد أن تكون أدوار هذا النسق مكملة لنسق فرعي آخر فهي سلسلة من العلاقات المتبادلة بين الأنساق الفرعية و هذه السلسلة تحفظ للبناء توازنه العام(محمد عارف، 1982، ص 102_100).

ثانيا_الافتراضات العامة للبنائية الوظيفية:

1. **الافتراض الأول:**

يقضي الافتراض الأول بأن المجتمع يشكل بناء اجتماعيا، ويحدد هذا البناء على أنه عبارة عن أنماط ثابتة نسبيا من السلوك الاجتماعي. وداخل البناء الكلي هناك أبنية جزئية مهمة في التحليل الوظيفي مثل: الأسرة و الدين، والسياسة والاقتصاد.

2. **الافتراض الثاني:**

يتمثل الافتراض الثاني في أن كل عنصر من عناصر البناء الاجتماعي يفهم من خلال وظيفته الاجتماعية. وتعني الوظيفة نتائج عمل المجتمع ككل، ومن ثم فإن كل جزء من المجتمع له وظيفة

هامة واحدة أو أكثر وهي شرط في استمرار المجتمع، وفي نفس الوقت الأداة الرئيسية في التحليل الوظيفي (الجلبي وآخرون،1998،ص 212_213).

البناء الاجتماعي:

- ✓ **مجموع العلاقات الاجتماعية المتباينة التي تتكامل و تتسق من خلال الأدوار الاجتماعي**
- ✓ **مجموعة من الأجزاء المرتبة والمتسقة تدخل في تشكيل الكل الاجتماعي وتتحد بالأشخاص والزمر والجماعات وما ينتج عنها من علاقات وفقا لأدوارها الاجتماعية التي يرسمها الكل.**

لقد استمدت البنائية الوظيفية الحديثة أفكارها ومبادئها من أفكار الوظيفية التقليدية (الكلاسيكية) والتي من اهم روادها كما سبق وأن ذكرنا : اوغست كونت، إميل دور كايم وهربرت

سبنسر وغيرهم الذين قدموا تحليلات للمجتمع وقضاياه آنذاك وتصوراتهم لقضايا المجتمع ومختلف الاضطرابات والصراعات التي يعرفها، ثم جاءت الوظيفية الحديثة التي حاولت تقديم الكثير من التحديثات للوظيفية ولعل من أهمهم: تالكوت بارسونز و روبرت ميرتون و اللذان سنحاول تقديم فكرتهما من البنائية الوظيفية بشيء من التفصيل.

ثالثا_ تالكوت بارسونز: توزان النسق الاجتماعي و المحافظة عليه

ولد بارسونز عام 1902 وهو عالم اجتماع أمريكي وهو أحد رموز المدرسة الأمريكية في علم الاجتماع الحديث والذي امتد تأثير أفكاره السوسيولوجية إلى فروع المعرفة الاجتماعية الأخرى مثل علم السياسة والعلاقات الدولية وعلم الإعلام والاتصال وعلم الإدارة وغيرها، توفي في عام 1979.

وقد بلور فكره الوظيفي في التحليل الاجتماعي للظواهر الاجتماعية من خلال تأليفه مجموعة مؤلفات والتي من بينها كتابه : " بنية الفعل الاجتماعي" والذي نشر في عام 1937.

ويعتبر كتاب" بناء الفعل الاجتماعي "لبارسونز الكتاب الذي ادعى فيه ان جمع الاتجاهات النظرية القائمة مثل الاتجاهات النظرية القائمة مثل الاتجاه الوضعي والاتجاه المثالي، على الوحدة الصغرى للنموذج النظري و هي الفعل كمصطلح اختاره وقصده النظرية القائمة مثل الاتجاه الوضعي والاتجاه المثالي، وكانت الوحدة الصغرى للنموذج النظري هي الفعل كمصطلح اختاره وقصده بوعي .فهو يؤكد أنه على عكس مفهوم السلوك لدى الوظيفيين الذي يعني عنده حركة واقعية بحتة، أن للفعل فاعلاً نشيطاً وايجابياً، كما أن الفعل ارادي وطوعي يتجه نحو غاية محددة بشكل ذاتي من خلال اختيار وسيلة ما بين عدة وسائل بديلة متاحة، ويتكون عنده الفعل الاجتماعي من أبنية وعمليات تقوم الكائنات البشرية بواسطتها بتكوين مقاصد ذات معنى في المستوى الرمزي أو الثقافي لما تمثله وما تشير اليه (علي الحوات، 1990، ص 180).

ويرى بارسونز أن سلوك الفرد الاجتماعي لا يصدر عن فراغ ولا من عقله أو رغبته بل من خلال تفاعله مع الآخرين، ومن خلال بصمات تبصمها المؤسسات الاجتماعية (الأسرة، والاصدقاء والجماعات المهنية ووسائل الاعلام و الجامعة و المدرسة وبيوت العبادة..)لتقنن تصرفاته مع الآخرين حسب معاييرها ليخرج السلوك على شكل تصرف منتظم وملتزم وموجه أي يعجن بعجينة المحددات والضوابط والمعايير ليكون صالحا للاستعمال اليومي وجاهزا على شكل نموذج اسماه" نسق الفعل الاجتماعي"(معن خليل عمر،1990،ص 80).

أما مفهوم النظام الاجتماعي عند تالكوت بارسونز، فهو عبارة عن شبكة من العلاقات الاجتماعية المبنية على عملية التفاعل الاجتماعي الوظيفي الحاصلة بين الأفراد ضمن الأنساق الاجتماعية الفرعية. الميزة الأساسية لهذه الأنساق الفرعية أنها تتفاعل في حالة اعتماد متبادل وظيفي فيما بينها ضمن النسق أو النظام الاجتماعي الكلي. ويحدد بارسونز الأنساق أو الأنظمة الفرعية في أربعة أنواع هي كالتالي:

1. النظام الاجتماعي: يتعلق هذا النوع من النظام بالعلاقات الاجتماعية المتبادلة وظيفيا بين الجماعات ضمن النسق ذاته ومع الأنساق الأخرى.
2. النظام الثقافي: يتعلق النظام الثقافي بكل الجوانب الرمزية الموجودة في المجتمع والتي تتفاعل هي الأخرى وظيفيا داخل المجتمع سواء ضمن النظام نفسه أو مع الأنظمة الفرعية الأخرى مثل الدين و اللغة و العادات و الإيديولوجيا.
3. النظام العضوي: ويعني النظام العضوي بطبيعة العلاقة التي تربط بين الفرد والجماعة و الجماعة بالنظام الكلي، التي عادة تتميز بالتكامل والتوازن، و من المثلة المجسدة للنظام العضوي: المواطنة ، الجنسية، الحقوق العامة.
4. النظام الشخصاني: أما بالنسبة للنظام الشخصاني فإنه يشير إلى الإجراءات المستخدمة في الضبط الاجتماعي بصفة عامة، سواء تعلق بعمليات التنشئة الاجتماعية و المساعدة على تكيف الفرد الاجتماعي الوظيفي أو إعادة التأهيل الشخصي للفرد بشكل يصبح منسجما مع النسق العام للمجتمع(عامر مصباح،2010، ص 227_228).

ومن أهم المحددات التي يقوم عليها اتجاه البنائية الوظيفية عند تالكوت بارسونز هي:

أ_ حالة التكامل:

إن حالة التكامل تبرز في المجتمع من خلال تضافر مجموعة من الأدوار ، سعيا منها إلى حل الصراع الدائم وتبلوره لاستقرار النموذج و تكامله، و هنا يشير " بارسونز" إلى أنه يوجد في كل نسق من أنساق الفعل بعض وحدات السلوك الغرض منها ضبط و كف الميول المنحرفة، والمحافظة على

قدر من التنسيق بين الأجزاء ، و تجنب أي مظاهر للاضطراب داخل النسق(علي بوعناقة، 2007، ص 54_55)

ب_ حالة التوازن:

إذا كان مفهوم التكامل لدى البنائيين يفيد بتآزر الأفعال لبلوغ الهدف الذي حدد مسبقا، فإن حالة التوازن تأتي لتنسق تلك الإنتظامات في إطار يجعلها تعمل في اتساق وتآلف، و هو ما يقرر استيفاء مظاهر التوازن، فالتوازن بحسب منظور هذا الاتجاه لا يعني أنه ليس هناك اختلالات، بل إن وجودها الدائم يجعل النسق دائم البحث عن إبداع تعديلات جديدة تنحو نحو التوازن. فلا بد من تدخل عمليات التوازن و التغير و التفاعل و الصراع في صياغة بناء النسق لمحاولة تحقيق حالة التوازن التي يستجيب فيها النسق بأسلوب ملائم لمختلف القوى التي تمارس عليه تأثيرا.

لذلك يرى بارسونز بأن أحد استمرار النظام هي حالة التوازن الاجتماعي ، التي تؤدي إلى الحفاظ على النظام بواسطة التوفيق بين المطالب أو الحاجات المراد إشباعها والتزام الفرد بالمعايير الاجتماعية المعتمدة، وأن النكوص عن هذه المعايير سيؤدي إلى خلل في النظام الاجتماعي، و هذا ما أسماه بارسونز بالانحراف الناتج عن خلل في التنشئة الاجتماعية..

ج_ حالة الاستقرار:

تؤكد البنائية الوظيفية على أنه كان يعمد دوما إلى التركيز على استقرار البناء الاجتماعي وتكامله واستمراره، ما جعله يتجاوز عن قصد أو غير قصد دراسة التغير البنائي، لأجل إبعاد التناقضات لصالح الاتساق الذي يؤدي إلى الاستقرار، و في هذا الإطار يورد "بارسونز" في سياق دراسته عن ذلك التوجه، استدلالات تفيد أن " في كل نسق من أنساق الفعل بعض وحدات السلوك، الغرض منها ضبط و كف السلوك و الميول المنحرفة، و المحافظة على قدر من التنسيق بين الأجزاء لتحقيق الاستقرار (بوعناقة، 2007، ص 56)

- **إذا كيف يمكن للمجتمع ان يحافظ على نفسه؟**

يجيب بارسونز عن ذلك في ضوء البنائية الوظيفية و يقول بأن المجتمع يطور الهياكل التي تلبي المتطلبات الوظيفية للمجتمع ككل و احتياجات الأفراد المختلفة(طعام ، تعليم ، عمل ، بناء علاقات...) ويميز بين أربعة متطلبات وظيفية رئيسية للمجتمع. الأول هو التكيف مع بيئتها، ويتم

ضمان هذه الطاقة من خلال الهيكل الاقتصادي (الزراعة و الصناعة و التجارة و الصيد و تنظيم الاستهلاك إلى غير ذلك ..) و الثاني هو السعي لتحقيق أهداف جماعية و يتم ضمان هذا المطلب من خلال الهيكل (الحكومة، البرلمان، الإدارات..)، و الثالث هو النزاعات الداخلية للجماعات ويتم ضمان هذا المطلب من خلال الهيكل القانوني له (العدل و الشرطة و القضاء..)، و الرابع و الأخير هو الحفاظ على النماذج الكامنة ويتم ضمان ذلك من خلال هياكل التنشئة الاجتماعية (الأسرة، الدين ، المدرسة..) (Luc Van Campenhoudt et Nicolas Marquis , 2014 , p130)

النسق:

- ✓ **عبارة عن مجموعة من أنماط سلوكية تحدد وتوجه تصرف الفرد نحو إشباع حاجات يبحث عنها ويحتاجها.**
- ✓ **ويعرف أيضا بأنه: العلائقية او الارتباط أو التساند وحينما تؤثر مجموعة وحدات وظيفية بعضها في بعض، فإنه يمكن القول أنها تؤلف نسقا.**
- ✓ **تتضمن فكرة النسق الإشارة إلى البيئة المحيطة به، وتنطوي هذه البيئة على أقصى درجات التفاعل والتداخل بين مختلف عناصر مكونات النسق.**

رابعا_ روبرت ميرتون:

انطلق روبرت ميرتون من مراجعة تنظيرات أستاذه " تالكوت بارسونز" خارجا بنتيجة وهي رفضه لمنظور أستاذه الكلي و الشمولي للفعل الاجتماعي، فميرتون أراد الهبوط بالنظرية السوسيولوجية من المستويات التجريدية العليا إلى المستوى الأوسط، وذلك على أساس اهتمامه بالدراسة الواقعية للظواهر و العلاقات الاجتماعية، فلهذا نجده يؤكد على الأطر النظرية التي قدمها بارسونز شديدة العموم، وبالغة التجريد، كما أنها لا تمكننا من تحقيق المهمة الرئيسية لعلم الاجتماع وهي إجراء البحوث الواقعية.

طرح روبرت ميرتون _ من الناحية المنهجية_ ثلاثة افتراضات أساسية للتحليل الوظيفي للظواهر الاجتماعية مع تحديد المشكلات أو العوائق المنهجية التي تواجهها ويمكن صياغتها في النقاط الاتية:

1. **افتراض الوحدة الوظيفية للمجتمع:**

يتضمن هذا الافتراض فكرة أن المعتقدات المقننة (العناصر الثقافية) أو الأساليب الموحدة (الأدوار و النظم والنشاط الاجتماعي) تعتبر وظيفة بالنسبة للنسق الثقافي او الاجتماعي ككل. لكن المشكلة التي تعترض هذا الافتراض هي عدم عموميته على المجتمعات الأكثر تعقيدا، بالإضافة إلى انه يمكن أن لا تكون بعض العناصر وظيفية للنسق الاجتماعي ككل، و إنما تكون وظيفتها جزئية في المجتمعات الصناعية. مثال على ذلك : الّين الذي قد يؤدي وظيفة التماسك الاجتماعي في بعض المجتمعات العربية ولكنه قد لا يؤدي نفس الوظيفة في مجتمعات اخرى بحيث قد يكون الدين هو أساس الفرقة مثل المجتمعات التي تعرف طوائف دينية متعددة (عامر مصباح،2010، ص 217).

2. **افتراض الوظيفة الشاملة:**

و يعني هذا الافتراض أن كل عنصر يؤدي وظيفة ايجابية داخل النسق، لكن ما يعترض هذا الافتراض هو انه ليس كل العناصر داخل النسق الكلي (المجتمع) تؤدي وظيفة ايجابية بل ربما يكون بعضها معوّقا وظيفيا كما يقول ميرتون، فهي تولد نتائج غير وظيفية أو تعمل في اتجاه معاكس للوظائف الايجابية للنسق الكلي.

3. **افتراض الضرورة الوظيفية:**

يتضمن هذا الافتراض فكرة المستلزمات الوظيفية، و التي تعني أن هناك وظائف أساسية يجب تحقيقها من أجل استمرار النسق، كما يتضمن فكرة الأشكال الاجتماعية والنظم والأساليب والتي يتم عبرها إنجاز الوظائف.

خامسا_مفردات التحليل الوظيفي:

أ_ الوظائف الظاهرة والكامنة:

بالإضافة إلى ما سبق طرح روبرت ميرتون فكرة الوظائف الظاهرة و الوظائف الكامنة فلأولى تشير إلى النتائج الموضوعية التي تحدثها سمة اجتماعية أو ثقافية معينة تلك النتائج التي تفرض على الأفراد تبنيها و التكيف معها فهي إذن نتائج متوقعة، أو يتوقع الأفراد حدوثها، أما الوظائف الكامنة فهي تشير إلى النتائج غير المقصودة وغير المتوقعة، و كمثال على ذلك : الرقص الجمعي عند بعض القبائل البدائية معتقدين أنها تجلب المطر، فالوظيفة الظاهرة لهذا الرقص هو جلب المطر

لكن الوظيفة المستترة او الكامنة هي نوع من التضامن الاجتماعي عند أفراد القبيلة بسبب خوفهم من الجفاف و المجاعة (العقيلي،2008، ص16).

مثال آخر: من الوظائف الظاهرة للجامعة هي أنها مكان للعلم و البحث العلمي والخدمة الاجتماعية في حين أن الوظائف الكامنة لها هي كأن تمارس الجامعة وظائف سياسية ، أو تمثل فضاءات اجتماعية للتسلية و الترفيه و تحقيق مكانات اجتماعية...

ب_ البدائل الوظيفية:

عند تحليل روبرت ميرتون لظاهرة النظام السياسي، طرح فكرة " البدائل الوظيفية" وتعني ان تحقيق الحجات الوظيفية للجماعات المختلفة مثل رجال الأعمال و جماعات الضغط لا يتوقف على النظام السياسي وحده، و إنما هناك بدائل متنوعة لإنجاز هذا الإشباع، عبر أنساق اجتماعية أخرى تشكل بدائل بالنسبة لبعضها البعض في إنجاز الوظائف داخل النسق العام للمجتمع.

ج_ المعوقات الوظيفية:

أو العيوب الوظيفية والذي يعرفها ميرتون بأنها" تلك النتائج التي يمكن ملاحظتها والتي تحد من تكيف النسق أو توافقه، و المثال العملي الذي يطرحه لتوضيح هذا المفهوم هو أن التمييز العنصري داخل المجتمعات الانسانية يعد معوقا وظيفيا ضمن نسق ينشد الحرية و المساواة والعدالة كأسلوب حياة مقبول من قبل الأغلبية. فهو يقول في هذا افطار إن مفهوم المعوقات الوظيفية بما يتضمنه من ضغط وتوتر على المستوى البنائي يمثل أداة تحليلية هامة لفهم ودراسة الديناميكيات والتغير...(عامر مصباح،2010، ص 219)

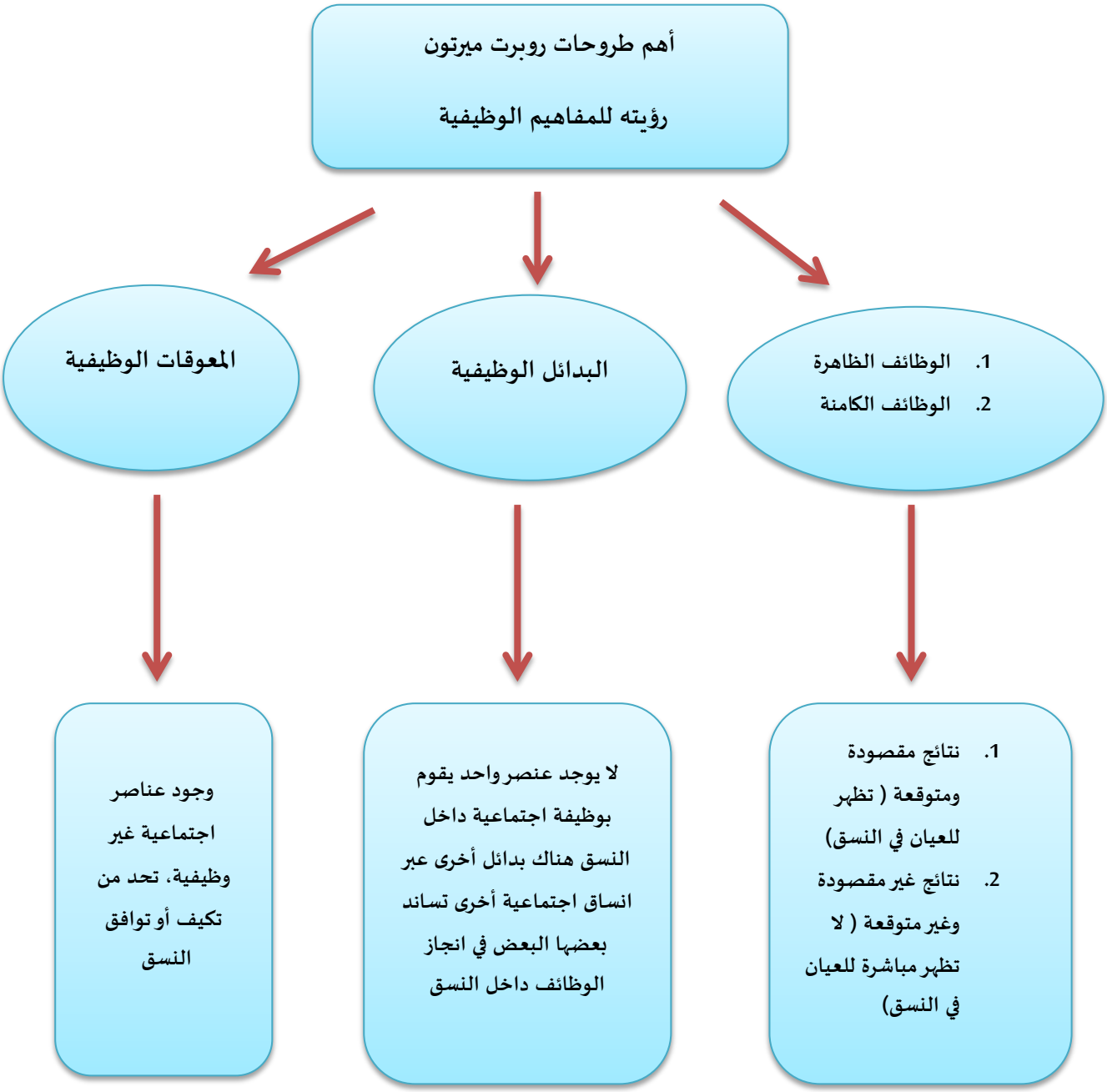

الشكل رقم (01): يمثل مخطط لأهم الطروحات الوظيفية لروبرت ميرتون

المحاضرة السابعة: النظرية الماركسية (نظرية الصراع)

أولا_ كارل ماركس Karl Marx (1818_1883)

ثانيا_ قضاياه الأساسية:

1. **الصراع الطبقي**
2. **الرأسمالية وصراع الطيقات**
3. **المادية التاريخية و المادية الجدلية**
4. **التغير الاجتماعي**
5. **الاغتراب**
6. **الدولة**
7. **الدّين**
8. **علم الاجتماع**

ثالثا_ نقد النظرية الماركسية

المحاضرة السابعة: النظرية الماركسية(نظرية الصراع)

بالرغم من انهيار الاتحاد السوفياتي (روسيا حاليا) و الكتلة الاشتراكية التي كانت متحالفة معه لا يمكن ان نتغافل عن بقية التراث الماركسي المتجدد الذي لا زال يحكم أكبر دولة في العالم وهي الصين، التي تعيش حاليا مرحلة التحول نحو الرأسمالية من منظورها و فلسفة قادتها الحاليين. و عموما و في إطار تحليلنا لتطور النظريات السوسيولوجية الكلاسيكية التي ظهرت في منتصف القرن التاسع عشر (19م) ، لا يمكن بكل حال من الأحوال ،أن نتجاهل ما تركه" كارل ماركس" في الفكر الإنساني، و الذي لا يقل اهمية عن تراث الفكر اليوناني و الإغريقي، نظرا لمجموعة القضايا والأفكار التي تم معالجته، والتي لا تزال تشغل اهتمام المفكرين و الفلاسفة و علماء العلوم الاجتماعية ، و رجال السياسة و الاقتصاد. فهي تعتبر اسهاما حقيقيا في تطوير العقل البشري وكيفية دراسته للمشكلات الواقعية التي توجد في العصر الحديث.

أولا_كارل ماركس (Karl Marx) (1818_1883):

ولد ماركس بألمانيا عام 1818م من أسرة يهودية تنتمي للطبقة الوسطى، لكن ما لبثت أن ارتدّت أسرته عن الدّيانة اليهودية لتعتنق المسيحية. تلقى تعليمه الأساسي و الجامعي في جامعات ألمانيا. خلال انضمامه لجماعة " هيجل" لم يقتنع كثيرا بأفكار هذه الجماعة، و في عام 1844م وضع مقالا مطولا لنقد المنهج عند " هيجل"، ولكن ما لبث أن ترك الحياة الأكاديمية للعمل بالصحافة لممارسة نشاطاته والتعبير عن آرائه بصورة أكثر. وترك" ماركس" ألمانيا ليعيش في باريس بعد تضييق الخناق عليه من الشرطة الألمانية، ونشر العديد من المقالات المعبرة عن نضاله الطبقي وأفكاره عن البروليتاريا واعتبارها أهم مقومات الثورة (عبد الله محمد عبد الرحمان،2003، ص 380).

وتم طرده من باريس إلى بلجيكا عن طريق الحكومة الألمانية، وهناك بدأ الاهتمام بالاقتصاد السياسي وتعرف على صديقه " انجلز"،ولكن ما لبث أن نفي إلى لندن ليعيش فيها بقية حياته. وفي عام 1847 وضع مؤلفاته الاقتصادية الهامة " فقر الفلسفة"، " بيان الحزب الشيوعي" عام 1848 " نقد الاقتصاد السياسي" عام 1859 الذي يعد نواة كتابه الشهير " رأس المال" الذي ظهر منه الجزء الأول في حياته عام 1867، وتوالت عمليات نشر الأجزاء الباقية حتى عام 1910 بواسطة كل من " انجلز" و " كارل كاوتسكي" (عبد الله محمد عبد الرحمان،2003، ص 381).

- **الاتجاه الفكري و الإيديولوجي:**

إن أفكار **" كارل ماركس"** تتعارض بصورة كاملة مع الأفكار التي طرحها كل من **" أوغست كونت ودور كايم"** ، غير أنه كان مثلهما يسعى إلى تفسير التغيرات التي كانت تطرأ على المجتمع خلال الثورة الصناعية. وعندما كان ماركس في مقتبل العمر، وضعته أنشطته السياسية وجها لوجه مع السلطات الألمانية، وبعد إقامة قصيرة في فرنسا، استقر منفيا في بريطانيا بصورة دائمة. وقد شهد ماركس نمو المصانع وتوسع الإنتاج الصناعي وما نجم عن كليهما من مظاهر التفاوت وعدم المساواة. وعبّر في كتاباته عن اهتماماته بالحركة العمالية في أوروبا والأفكار الاشتراكية، وتشعّب إنتاجه الفكري ليشمل موضوعات أساسية متنوعة.

وتركزت معظم أعماله على القضايا الاقتصادية، غير أن حرصه على ربط المشكلات الاقتصادية بالمؤسسات الاجتماعية قد أثرى الطروح السوسيولوجية التي تضمنتها مؤلفاته العديدة (المذكورة سابقا). بل إن أقسى نقاده لا يملكون إلا الإقرار بأن أعماله تمثل إسهاما مهما في تطور علم الاجتماع (أنتوني غدنز،2005، ص 68).

ثانيا_قضاياه الأساسية:

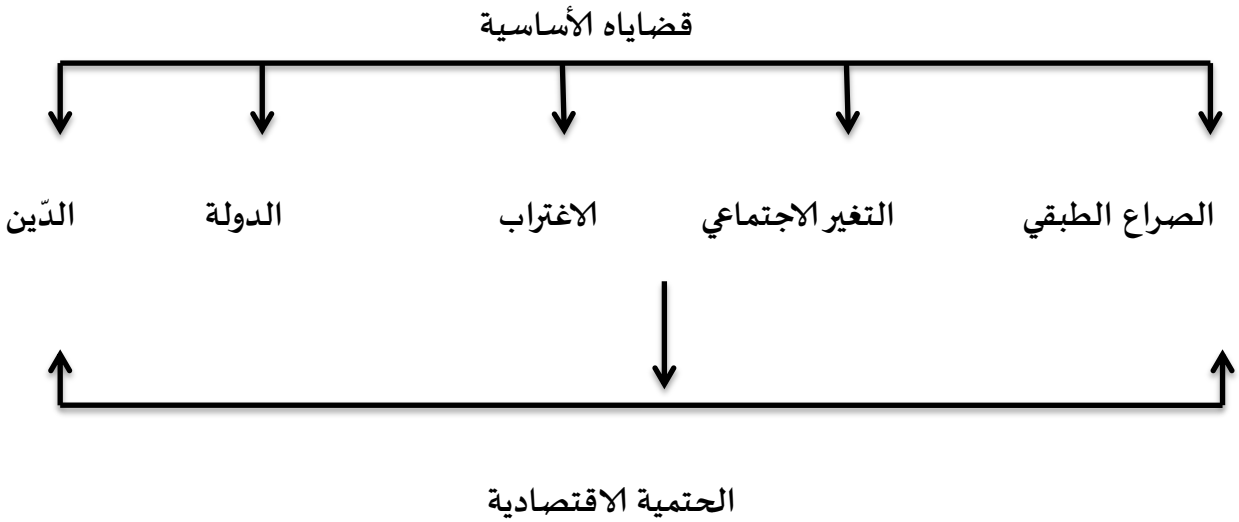

1. الصراع الطبقي:

_ يعتقد ماركس بأن ظاهرة الطبقات الاجتماعية من اهم الظواهر التي تؤدي إلى الصراع و التحول الحضاري والاجتماعي حيث قسم المجتمع إلى طبقتين:

أ_ الطبقة البرجوازية المالكة لوسائل الإنتاج

ب_ الطبقة البروليتاريا الفاقدة لوسائل الإنتاج

_ حيث يعتقد أن الصراع بين هذه الطبقات حتمي لا مفر منه وهو بذلك ينعكس على المجتمع ومن خلال هذا الصراع ينتقل المجتمع من مرحلة لأخرى.

_ طبق ماركس هذه الرؤيا على المجتمع الغربي بعد الثورة الصناعية حيث رأى أن الصراع يؤدي بالنهاية إلى النظام الاشتراكي.

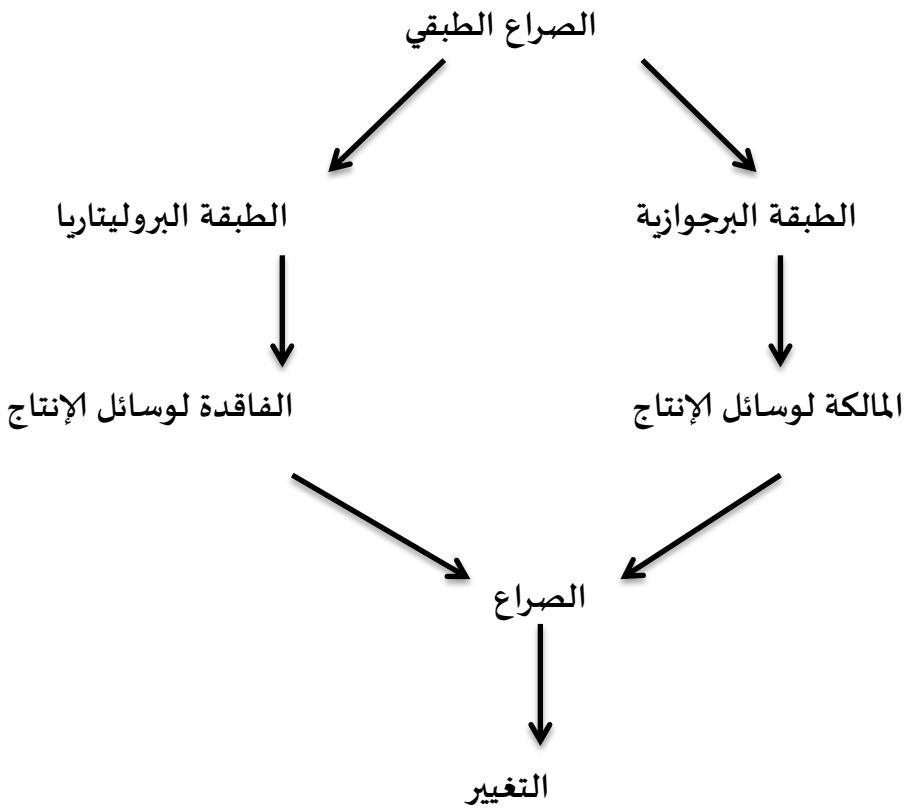

الشكل رقم (02): رسم تخطيطي يوضح الصراع الطبقي عند كارل ماركس

2.الرأسمالية وصراع الطبقات:

كتب ماركس عن شتى مراحل التاريخ، غير أنه ركز في المقام الأول على التغير الذي طرأ في المرحلة الحديثة في عصره، و قد ارتبطت أهم التغيرات في نظره بتطور الرأسمالية.

الرأسمالية: نظام للإنتاج يختلف بصورة جذرية عن النظم الاقتصادية السابقة في التاريخ، ويتضح ذلك الاختلاف بأجلى صوره في أن النظام الرأسمالي يتميز بإنتاج السلع والخدمات وبيعها لتشكيلة واسعة من المستهلكين. وحدّد ماركس عنصرين أساسيين يميزان نظم الإنتاج الرأسمالي وهما:

1_ رأس المال: و هو الأصول / الموجودات الاقتصادية، بما فيها المال والمعدات و حتى المصانع، التي يجري استخدامها أو استثمارها لإنتاج أصول جديدة في المستقبل.

2_ العمل بأجر: ويشير العمل المأجور إلى قطاع العمال الذين لا يملكون وسائل للعيش بل ينبغي عليهم أن يطلبوا الاستخدام من أرباب رأس المال (أنتوني غدنز، 2005، ص 68_69).

ويرى ماركس أن من يمتلكون **رأس المال وهم الرأسماليون، يشكلون طبقة حاكمة**، بينما يمثل **أغلبية العاملين بأجر طبقة عاملة.** ومع انتشار التصنيع ، انتقلت أعداد ضخمة من الفلاحين الذين كانوا يعيشون من زراعة الأرض إلى المدن المتزايدة التوسع، إذ شكلوا طبقة صناعية عاملة في المراكز الحضرية. ويشار إلى هذه **الطبقة العاملة** باسم **البروليتاريا.**

- **فكرة ماركس:**

الرأسماليين و العمال يعتمد كل منهما على الآخر لأن:

الرأسماليين يحتاجون إلى قوة العمل و العمال يحتاجون إلى الأجور ، العلاقات الطبقية في هذه الحالة تتميز بالاستغلال (المعادلة تعاني خللا فادحا) ، لأن العمال لا يتمتعون بأي قدر من السيطرة على عملهم في الوقت الذي يقوم فيه أرباب العمل بجني الأرباح عن طريق تملكهم حصيلة عمل العمال. النتيجة: صراع الطبقتين حول الموارد الاقتصادية

3.المادية التاريخية و المادية الجدلية:

يرى بعض المحللين ان النظرية الماركسية تنقسم إلى قسمين متكاملين و هما:

القسم الأول: المادية الجدلية

القسم الثاني: المادية التاريخية

- **المادية الجدلية (Dialetical Materialisme):**

تعود لمؤسسها الأول في العصر الحديث المفكر و الفيلسوف الألماني" هيجل"(Higal) الذي أثر تأثيرا مباشرا في أفكار " ماركس" و استخدامه المادية الجدلية ، كمنهج وأسلوب للتحليل، و النقد و التفكير ولتشير عامة للأشياء و القضايا الجوهرية.

يرى ماركس أن جميع الظواهر و القضايا و المشكلات و الحياة الاجتماعية بصورة عامة و طبيعية الوعي بهذا الواقع أو الوجود المادي، تتطور على أساس مجموعة من قوانين الجدل الرئيسية (الصراع).و التي يتمثل بعض هذه القوانين فيما يعرف بوحدة وصراع الأضداد..(عبد الله محمد عبد الرحمن،2003، ص 386_387)

- **المادية التاريخية: (Historical Materialisme) :**

وهي الموضوع الأساسي للمادية الجدلية حيث استخدم ماركس المادية التاريخية كنظرية فلسفية ،منهجية وسوسيولوجية، تدرس المجتمع وتفسر جوانبه المادية وغير المادية، وتحليل طبيعة مظاهر الحياة المادية، ولاسيما قضية الإنتاج الاقتصادي الذي يعتبر القضية الأساسية في الفكر الماركسي باعتبار أن عملية الإنتاج تشكل أساسا للتفاعل بين جميع جوانب الحياة الاجتماعية.

إن الفلسفة المادية عند ماركس ترى أن الموجود الحقيقي هو المادة، بينما الفلسفة المثالية ترى بأن الموجود الحقيقي هو الفكر (الوعي).

يرى ماركس أن المادة هي القاعدة الرئيسية لظهور الوعي و ان العكس غير صحيح. حيث ان الموجود (المادة) يسبق الوعي(الفكر) لا العكس.

لقد أظهر ماركس أهمية العامل المادي في صنع أحداث التاريخ، فالتاريخ كله هو الصراع بين من يملكون وبين من لا يملكون وعليه فصراع الطبقات المحدد اقتصاديا هو الذي يعطي للمجتمع تاريخينته، وعليه فماركس يعتبر التناقضات الاقتصادية أصل الصراع في المجتمع

ويعبر ماركس بوضوح بقوله " كل انقلاب اجتماعي نتيجة للعوامل المادية والاقتصادية(لحرش موسى،2009، ص 246_248).

المادية التاريخية هي نظرية المجتمع الماركسية، و هي العلم الذي يبحث عن القوانين العامة والقوى الدافعة ، لتطور وتغير المجتمع الإنساني بصورة عامة، كما تهدف إلى دراسة قوانين الحياة المعاصرة لمختلف الدول والنظم، سواء كانت اشتراكية أم رأسمالية او متخلفة.

4.التغير الاجتماعي:

يربط ماركس بين التغير الاجتماعي والصراع الطبقي الذي يعد أداة التغيير الاجتماعي الرئيسية والفعالة داخل المجتمع الإنساني. و يحدث التغيير الاجتماعي من خلال نجاح الطبقة الفاقدة لوسائل الإنتاج في إلحاق الهزيمة بالطبقة المالكة لها وفق الصيرورة الحتمية للصراع.

كما يرى ماركس أن التغيير الاجتماعي ينشأ عن البنية التحتية للمجتمع المحددة في قوى الإنتاج من وسائل ومصانع وثروة....وهي المسؤولة عن تحديد مضمون البنية الفوقية من أفكار و معتقدات ونظم سياسية وثقافية، بمعنى آخر ، أن أساس التغيير الاجتماعي هو مادي متمثل في الاقتصاد عن طريق الصراع على أدواته بين الطبقات الاجتماعية، حيث تفضي نتيجة الصراع إلى سيطرة طبقة جديدة على أدوات الإنتاج وتفرض رؤيتها الجديدة في المجتمع فيحدث التغيير الجذري (عامر مصباح،2010، ص99).

نتيجة إلى الصراع الطبقي سوف يحصل التغير الاجتماعي ، فالصراع الطبقي هو محرك للتاريخ فالمجتمع في حالة صراع جوهري.

ومع ذلك يعترف ماركس بأن فترات النظام والتوازن الاجتماعيين يمكن أن تحدثا، وبيّن أن المجتمعات من خلال التغير تمر بمراحل:

1_ المشاعية البدائية

2_ الرق

3_ الإقطاع

4_ الرأسمالية

5_ الاشتراكية، ثم تبنى بأن المجتمعات ستنتهي على مرحلة الشيوعية ويقصد بها مرحلة لا طبقات ولا دولة، فهذه المرحلة هي نتيجة متوالية بعد أن تنقض المرحلة الاشتراكية على المرحلة الرأسمالية حسب نظرته.

5.الاغتراب:

فكرة الاغتراب عند "ماركس" لخصها لنا في طبيعة العلاقة بين نشاط الإنسان والمؤسسات والأشياء التي هي نتاج إبداعه الخاص ،لكنها تتخذ لها في النهاية شكلا مستقلا تصبح تمثل بمقتضاه قوى غريبة تواجهه وتعاديه تحت أشكال و تجليات مختلفة في الحياة(نعيمة وابل،2013، ص 59)

.كما أظهر لنا في كتاباته حول " الاغتراب" أنه حالة عامة في المجتمعات الرأسمالية التي حولت العامل إلى كائن عاجز وسلعة بعد أن اكتسبت منتجاته قوة مستقلة عنه، ومعادية له وتحديدا قال: " إن العامل في ظل النظام الرأسمالي يهبط إلى مستوى السلعة ويصبح حقا أكثر السلع تعاسة، وتزداد تعاسته بازدياد قوّة إنتاجه وحجمها يصبح العامل سلعة رخيصة بقدر ما ينتج من سلع ، وبتزايد قيمة عالم الأشياء تتدنى قيمة الإنسان نفسه.(حليم بركات، 2006، ص 39).

إن نظرية الاغتراب تستهدف كشف الاستغلال الذي قام به أو عليه النظام الرأسمالي ولابد من إلغاء هذه العلاقات الاغترابية عن طريق إلغاء الرأسمالية ويتحرر الإنسان من الظروف الاجتماعية التي خلقها و أصبح سجينا لها.

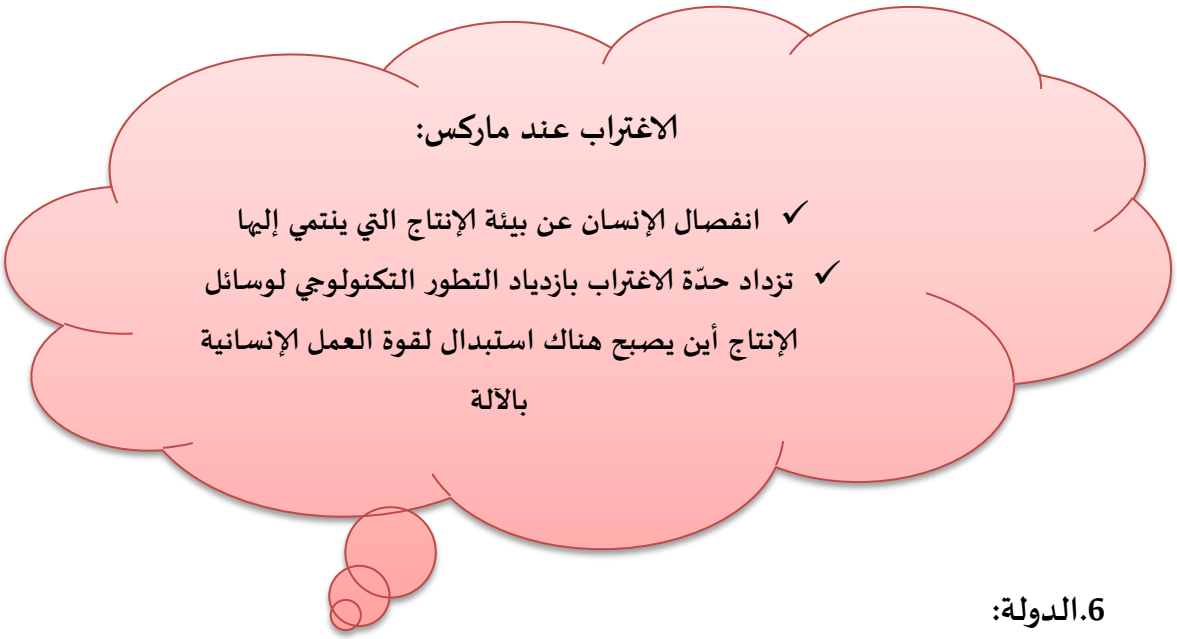

6.الدولة:

_ يقول أن الدولة أو القوة السياسية هي امتداد للقوة الطبقية بعد أن تنحاز إلى الطبقة القوية و المسيطرة على وسائل الانتاج هذا الانحياز يؤدي إلى انقسام المجتمع إلى طبقتين متصارعتين.

_ الصراع السياسي هو امتداد للصراع الطبقي.

_ الدولة هي نتيجة لهذا الصراع و بالتالي هي تزول بزوال هذا الصراع.

_يعطي أهمية للمجتمع ويراه هو الذي يشكل الدولة ويقرر ويحدد طبيعتها.

7.الدين:

يقول ماركس في إحدى عباراته الشهيرة أن " **الدين أفيون الشعوب**"، فالدّين يرجئ السعادة و الجزاء إلى الحياة الأخرى، و يدعو الناس إلى القناعة و الرضى بأوضاعهم في هذه الحياة. ويؤدي ذلك إلى صرف الانتباه عن المظالم ووجوه التفاوت واللامساواة في العالم، وينطوي الدّين على ما يرى ماركس على عنصر ايديولوجي قوي: إذ ان المعتقدات و القيم الدينية تستخدم في أكثر الحيان لتبرير جوانب اللامساواة في مجالات الثروة و السلطة(أنتوني غدنز،

2005، ص 580). و بالتالي الدّين هو مخدر يمنع الناس من الثورة على الاستغلال الذي يعانون منه.

8.علم الاجتماع:

تضمن علم الاجتماع لدى كارل ماركس مجموعة من الأفكار منها تأكيده على البناء الاقتصادي للمجتمع، و تحليله للبناء الفوقي الإيديولوجي وعلاقته بالأساس الحقيقي للمجتمع وأسلوب الإنتاج والعلاقات الاجتماعية والثورة الاجتماعية، والتغير الاجتماعي وهذه المفاهيم هي موضوع علم الاجتماع في نظره (عامر مصباح،2010، ص 112_113).

ويمكن تلخيص موضوع علم الاجتماع عند ماركس بانه علم الصراع الطبقي حول ادوات الإنتاج باعتباره المحدد الرئيسي لطبيعة المجتمع.

ثالثا_نقد النظرية الماركسية:

إن الماركسية كنظرية سوسيولوجية اتسمت في تصوراتها بالكثير من الرؤى التي عالجت الواقع في المجتمع الرأسمالي، لكنها تعرضت للنقد من جانب رواد البنائية الوظيفية او حتى روادها الماركسيين أنفسهم، لا سيما ان الماركسية ركزت على تفسير بعض الجوانب الواقعية في المجتمع الرأسمالي والحديث و أغفلت البعض الآخر، كما أنها طرحت كثيرا من الأفكار المثالية الخيالية مثل تصورها لإنهيار الرأسمالية وظهور المجتمع الشيوعي العالمي، لكن ما حدث هو العكس تماما، انهيار الاتحاد السوفياتي سابقا و الكتلة الاشتراكية نتيجة لبعد أسس هذا النظام عن الواقع و تحريم أو إلغاء أحد الحقوق الأساسية للفرد وهي حق الملكية التي شرعتها جميع الأديان السماوية.

علاوة على ذلك انتقدت الماركسية كثيرا في استخدامها لمفاهيم الصراع والاغتراب و الثورة و الدين و السيطرة و الوعي والوجود الاجتماعي وغيرها من المفاهيم، و التي جاءت بصورة خيالية نسبيا وبعيدة عن واقع المجتمع الرأسمالي ونشأته، ليس فقط في المجتمعات الغربية و لكن حتى في المجتمعات الآسيوية، الأمر الذي أدى إلى تعديل هذه النظرية من جانب الماركسية المحدثة والتي تبنت خطًا ايديولوجيا أقل حدة من التصورات الماركسية التقليدية، التي وضعها كل من " ماركس و صديقه أنجلز" وطبقها كل من لينين وستالين في الاتحاد السوفياتي سابقا(عبد الله محمد عبد الرحمن و رشاد غنيم،2008، ص 123).

يرى ماركس أن الصراع الطبقي هو ظاهرة حتمية في أي مجتمع وتوجد بوجوده ويعمل بأدواته على التغيير وتقل المجتمع من مرحلة لأخرى. وعنصرا الصراع هما: طبقة فاقدة لوسائل الانتاج وطبقة مالكة لوسائل الانتاج ومهيمنة على الاقتصاد والسياسة و المجتمع. إلا أنه في الواقع ليست كل المجتمعات الرأسمالية يحدث فيها التقسيم الطبقي بالصيغة ذاتها، و ليس الصراع الطبقي بالحدة التي تحدث عنها ماركس، و إنما يحدث فيها تنافس بين فئات و جماعات مختلفة ليست منقسمة على أساس اقتصادي، و إنما تبحث كل جماعة على مصالحها كالتنافس بين الجماعات الصناعية والمزارعين في الولايات المتحدة الأمريكية (عامر مصباح، 2010، ص 115_116). و لم يحدث أن أدى الصراع الطبقي في المجتمع الرأسمالي إلى تغير المجتمع وتحوله إلى نموذج آخركما تنبأ بذلك كارل ماركس، إنما الذي حدث هو أن التغيير يحدث عادة في المجتمعات الزراعية المتخلفة عندما يضعف النظام ويتحول إلى أداة استبداد وقهر، و يعم الفساد السياسي والاقتصادي في المجتمع والدولة ومؤسساتها.

المحاضرة الثامنة: النظرية الماركسية المحدثة (الصراعية المحدثة)

_ رالف داهرندوف و لويس كوزر_

أولا_مفهوم الماركسية المحدثة (الحديثة)

ثانيا_ عوامل ظهور الماركسية المحدثة

ثالثا_ رالف داهرندوف (L .Dahnrendrof)

رابعا_ لويس كوزر (Lewis .Coser)

المحاضرة الثامنة: النظرية الماركسية المحدثة (الصراعية المحدثة)

_ رالف داهرندوف و لويس كوزر_

أولا_مفهوم الماركسية المحدثة (الحديثة):

يضم مفهوم الماركسية المحدثة تلك النظريات والأفكار التي ظهرت بعد الماركسية الكلاسيكية (التقليدية) والتي جاءت نتيجة لتطوير هذه الأخيرة مع الحفاظ على الإرث الماركسي الذي بدأ في التلاشي نتيجة لسقوط المعسكر الشرقي (الاتحاد السوفياتي سابقا).

كما جاءت الماركسية المحدثة كرّد فعل على إخفاقات الماركسية التقليدية في تفسير التغيرات الحاصلة في المجتمعات الحديثة خاصة الرأسمالية وعدم تحقيق نظرية ماركس التي تنبأت بزوال المجتمعات الرأسمالية، لحساب المجتمعات الاشتراكية(الشيوعية)، لكن الماركسين المحدثين حافظوا على مفهوم الصراع الذي جعلوا منه مدخلا لتفسير مختلف الظواهر الاجتماعية، باعتباره أداة مهمة في تغيير و تحديث المجتمعات.

ثانيا_ عوامل ظهور الماركسية المحدثة ويمكن تلخيصها بالنقاط التالية:

1. تحديث أفكار الماركسية الكلاسيكية التصويرية التي اتخذت من الصراع مدخلا وظيفيا للعديد من الظواهر الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية المتغيرة.
2. ظهور من العلماء الشبان الغربيين الذين انبهروا بنظرية الصراع لكنهم اعتبروها أداة للتغير و التحديث لا كما نظر إليها ماركس لكن الصراع في داخله يحمل احترام للنظام و السلطة مثل الانسجام.
3. أراد أنصار الماركسية تطوير علم الاجتماع عن طريق دراسته لعناصر الصراع والتغير ركزوا على التوفيق بين الماركسية التقليدية التي تركز على الصراع، و الوظيفية البنائية التي تركز على التوازن النسقي.
4. حرص أنصار الماركسية على تطبيق نظرية الصراع و تصنيفها إلى اتجاهين هما: اتجاه ينظر إلى المجتمع على أنه نسق معياري و يركز على العوامل الاجتماعية و اتجاه

طبيعي يسعى لتفسير الصراع بالاهتمام بالأسباب الاجتماعية و الثقافية الكامنة التي بسببها يظهر الصراع. ولعل من أهم رواد الماركسية المحدثة نجد عالم الاجتماع الألماني " رالف داهرندوف" (L .Dahnrendrof) و" لويس كوزر" (L .Coser) وغيرهم.

ثالثا _ رالف داهرندوف (L .Dahnrendrof):

هو فيلسوف و عالم اجتماع ألماني ولد في ألمانيا عام 1929 وحصل على شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع من جامعة هامبورغ الألمانية وشهادة دكتوراه ثانية من جامعة لندن عام 1957. نشر عدة مؤلفات أهمها :" الطبقة والصراع الطبقي في المجتمع الصناعي" و الذي توجد فيه نظريته الصراعية. علما بأن هذا الكتاب قد ظهر لأول مرة عام 1959.

لقد تأثر " رالف داهرندوف بالأفكار الاجتماعية والاقتصادية التي جاء بها " كارل ماركس" لاسيما الأفكار التي تقول بأن هناك صراعا طبقيا في المؤسسات الصناعية، إلا أنه لا يعتقد بأن الصراع هذا هو بين الطبقة العمالية وطبقة أرباب العمل كما اعتقد ماركس، ولا يعتقد كذلك بأن سبب الصراع بين العمال وأرباب العمل يرجع إلى عوامل مادية.

إن رالف داهرندوف يعتقد بأن الصراع في المؤسسات الصناعية يكون بين العمال و الطبقة التكنوقراطية* ومثل هذا الصراع كما يعتقد داهرندروف لا يتحدد بالمؤسسات الصناعية بل يكون في المؤسسات الإدارية ذات الطابع الحكومي وفي المؤسسات الصحية وفي المؤسسات العسكرية. إن الصراع في المؤسسات الإدارية الحكومية حسبه يكون بين أبناء الطبقة التكنوقراطية الذين هم خريجي الجامعات والكوادر العملية التي تحتل المراكز القيادية في المؤسسات الإدارية الحكومية وبين الكتبة والموظفين الصغار، كما أن الصراع في المؤسسات العسكرية يكون بين الطبقة التكنوقراطية ونواب الضباط او المراتب في القوات المسلحة (احسان محمد الحسن،2010، ص 139_140).

*تكنوقراطية (Technocracy) الكلمة لها أصل يوناني وتتكون من مطعين وهما : techno و تعني الفن ، و cratos و تعني الحكم، و بالتالي يكون معنى الكلمة الحكم الفني، أي الذي يرتبط بمجموعة من الأشخاص المتخصصين في مجال ما ، وهي حركة بدأت عام 1932 في الولايات المتحدة الأمريكية، وكان التكنوقراطيين يتكونون من المهندسين والمعماريين والاقتصاديين..، وعلى وجه التخصيص يشير المصطلح إلى مذهب معين من المذاهب الاقتصادية_الاجتماعية حيث يرى أنصار هذا المذهب ان النظام الصالح لهذا العصر الذي انتشرت فيه التقنية هو نظام الحكم التكنوقراطي الذي يجب أن يقوم عليه فنيون من علماء و مهندسين واقتصاديين وصناعيين وما شابه ذلك من ذوي المعرفة و الخبرة والاختصاص. و نقول حكومة تكنوقراطية يعني حكومة الكفاءات العلمية.

ويرى داهردنوف أن بعض أفكار " كارل ماركس" لم تعد تتلاءم مع طبيعة المجتمعات الحديثة التي عرفت تطورا كبيرا مقارنة بالوقت الذي كتب فيه ماركس أفكاره .فعلى سبيل المثال لم يعد ذلك المفهوم العام عن الطبقة العاملة ذات التوجه الواحد والأهداف الواحدة، بل أصبحت هناك مصالح مختلفة ومكانات متعددة لأفراد الطبقة الواحدة .كما أن نظام الملكية لم يعد كما كان في السابق، بل أصبح هناك انفصال خرج الملاك من عملية الانتاج وبالتالي القضاء على سلطتهم للملكية عن الإدارة، و الاستغلالية. وهذا ما سمح بتحسن ظروف الطبقة العاملة الاقتصادية وارتفاع مكانتهم الاجتماعية . إلا أن هذا ليس معناه أن الصراع لم يعد موجود أو ليس له قيمة، بل بالعكس فالواقع يثبت أن الصراع لم يغب يوما عن الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية. هذا ويشير داهرندوف إلى أنه بالرغم من التغيرات والتحديثات التي طرأت على النظام الرأسمالي، والطبقة الرأسمالية، وظهور المجتمع ما بعد الرأسمالي، ونمو الطبقة الوسطى .إلا أنه كنظام بقي محافظ على قوته ومحكما لسيطرته على مصادر الثروة والقوة وأمور الحكم في المجتمع، ويظهر ذلك في وجود حاكم ومحكوم وآمر ومأمور داخل المجتمع، فكما هو معروف أينما وجدت القوة والسيطرة وُجد الخضوع والاستغلال .إن هذه السيطرة والقهر هو ما يجعل من التنظيمات الاجتماعية متسقة، كما أنه هو أيضا الذي يدفع للتمرد والتغيير والاجتماعي لإعادة تقسيم القوة وتمركز السلطة، فالصراع دائما ما ينشأ بين مواقع السيطرة ومواقع الخضوع. وعليه فالصراع في المجتمع الصناعي يتولد من علاقات السلطة، لا من علاقات الإنتاج كما قال ماركس .فإذا كان الصراع عند ماركس اقتصاديا ماديا، فإنه عند داهرندوف سياسي بدرجة أكثر.(زيات فيصل ، ومخطار ديدوش محمد،2019، ص 389).

يرى داهرندروف أن كل مجتمع ليس بساكن أو متوازن بل هو عرضة لعمليات التغير في كل جانب من جوانبه، فالتغير ظاهرة شاملة كلية الوجود ومستمرة، بل أن المجتمع يكشف في مظاهره ونظمه الاجتماعية عن تناقض وصراع، فالصراع ايضاً ظاهرة شاملة وكلية، و يسهم كل عنصر من عناصر المجتمع في تكامله على السواء، بل أن ا تمع يقوم على أساس قهر بعض أعضاءه للبعض الآخر، ومن هنا تظهر دوافع للصراع المستمر في المجتمع .فعند ماركس يقع الصراع في النهاية على الملكية ووسائل الانتاج بين الطبقة المالكة لوسائل الانتاج والطبقة الخاضعة، أما عند داهرندروف فيفصل الصراع عن محتواه الاقتصادي الذي قدمه ماركس ويربطه **بمحتواه السياسي وهو الوصول الى السلطة**.

وما يتعلق بالصناعة يعتقد داهرندوف بأن الصراع لا يكون بين العمال ومالكي وسائل الانتاج كما اعتقد كارل ماركس بل إن الصراع يكون بين العمال و الطبقة التكنوقراطية، علما بأن الطبقة التكنوقراطية لا تملك المشروع بل تديره فقط لقاء رواتب معينة. وأن هناك فصلا في المؤسسات الصناعية الحديثة بين إدارة المشاريع وتمويلها، فإدارة المشاريع الصناعية هي بيد التكنوقراطيين الذين لا يملكون المشاريع التي يعملون فيها بل يديرونها لقاء رواتب شهرية أو سنوية معينة. أما ملكية المشاريع الصناعية فهي بيد المساهمين أي أصحاب الأسهم الذين يمولون المشاريع عن طريق عدد أسهمهم. لذا لا يواجه العمال مالكي المشروع الصناعي من المساهمين، في حين يواجه العمال الإداريين من خريجي الجامعات (الطبقة التكنوقراطية)،وأن الصراع يحدث بين هذه الطبقة والعمال وليس بين العمال ومالكي المشروع الصناعي (احسان محمد الحسن، 2010، ص 140_141).

كما ان سبب الصراع بين العمال و التكنوقراطيين كما يراه داهرندوف ليس هو ماديا بل يرجع إلى احتكار التكنوقراطيين لأسباب القوة والنفوذ في المشروع الصناعي وعدم تمتع العمال بأية قوة او نفوذ في المصنع.

فكرة داهرندوف تتلخص في:

سبب الصراع لا يرجع إلى العوامل المادية(ملكية وسائل الإنتاج) التي أكد عليها كارل ماركس و إنما أساس الصراع يرجع إلى التفاوت في توزيع السلطة و المراكز السلطوية(القوة و النفوذ) داخل المؤسسات الصناعية الحديثة.

رابعا_ لويس كوزر (Lewis .Coser):

يعتبر لويس كوزر أحد رواد الماركسية المحدثة أو نظرية الصراع .الذين امتزجت كتاباتهم بخبراتهم المهنية كأساتذة لعلم الاجتماع في العديد من الجامعات الاوروبية والأمريكية، ولد بألمانيا عام 1913

ودرّس بأمريكا، وكان من تلامذة روبرت ميرتون، اهتم بالنظرية السوسيولوجية وعلم الاجتماع المعرفة وعلم الاجتماع العام، ومن أهم أعماله" وظائف الصراع الاجتماعي "الذي صدر عام 1956(غراهام كيلوتش،1990، ص275).

اهتم كوزر بتحليل نتائج ووظائف الصراع ، وحيث يرى أن الصراع الاجتماعي في المجتمعات الحديثة ليس الصراع على الملكية كما زعم كارل ماركس بل صراع على القيم وطلب المكانة والموارد النادرة، بحيث لا تكون بوسع هذه الجماعات المتصارعة تحقيق القيم المرغوبة فحسب، بل تحييد وايذاء أو حتى اقصاء الجماعات المتنافسة، و يركز كوزر على الوظائف الايجابية للصراع أكثر من محاولته إبراز المعوقات الوظيفية له. حيث يرى بأن للصراع الداخلي عدة وظائف إيجابية حيث يعيد الحيوية للمعايير الموجودة في المجتمع، يقلل العزل الاجتماعي، كما أنه يزيد من بقاء وتماسك الجماعة.

إذا هدف جماعات الصراع هو تحقيق القيم المرغوبة ولكن نتيجته في الغالب تكون تحييد وايذاء واستبعاد الجماعات المتنافسة لذلك فإن نظرية الصراع حسب كوزر تتضمن مواقف تشمل صراع المصالح، ويمكن للطرفين الفوز فيها بالتوصل الى اتفاق وليس بالضرورة أن يقصي أحدهم الآخر أو يفوز فيها طرف على حساب طرف آخر.

- **يرى لويس كوزر بأن الصراع هو من أجل قيم محددة و طلبا للمكانة و المركز في سبيل بلوغ السلطة وليس الصراع كما يراه ماركس من أجل الملكية.**
- **للصراع وظائف ايجابية و ليس بالضرورة أن يكون للصراع وظائف سلبية.**

المحاضرة التاسعة: التفاعلية الرمزية

ماكس فيبر و جورج هربرت ميد

أولا_ ماكس فيبر Max Weber و الفعل الاجتماعي

ثانيا_مفهوم التفاعلية الرمزية

ثالثا_جورج هربرت ميد (مؤسس التفاعلية الرمزية)

المحاضرة التاسعة: التفاعلية الرمزية_ ماكس فيبر و جورج هربرت ميد_

رابعا_ المجتمع عند جورج هربرت ميد

يرجع أصحاب هذه النظرية جذور النظرية التفاعلية الرمزية إلى أفكار عامل الاجتماع الألماني **ماكس فيبر Max Weber** ، الذي أكد على أن فهم العالم الاجتماعي يكون من خلال اتجاهات الأفراد الذين نتفاعل معهم، وأن فهم الظواهر الاجتماعية يكون من خلال تحليل الفعل الاجتماعي في المجتمع، ثم تولى تطويرها الكثير من علماء النفس الاجتماعي من امثال جورج هربرت ميد.

التفاعلية الرمزية، هي نظرية نفسية_اجتماعية من أحدث الاتجاهات النظرية في مدرسة شيكاغو، تقوم على اعتقاد مؤداه أن السلوك البشري في أساسه نتاج اتصال الرموز الاجتماعية بين الأفراد. وتكمن الفكرة الأساسية للتفاعلية الرمزية في أن العقل و الذات ليس أمرا فطريا وراثيا ولكنهما_ بالدرجة الأولى_ نتاجا للبيئة الاجتماعية.

أولا_ ماكس فيبر Max Weber و الفعل الاجتماعي (التمهيد للتفاعلية الرمزية):

ماكس فيبر عالم اجتماع ألماني (1864_1920) خلف تراثا اجتماعيا كبيرا ، لم يؤثر في إثراء حقل الاجتماع فحسب، و لكنه أثر في حقول المعرفة الاجتماعية كلّها. يعرف فيبر علم الاجتماع في كتابه " الاقتصاد و المجتمع" بقوله:" علم الاجتماع هو العلم الذي يسعى إلى فهم الفعل الاجتماعي وتفسيره لكي يصل إلى تفسير سببي لمساره و نتائجه(محمد علي محمد،1983، ص 202)

أ. الفعل الاجتماعي:

عرف ماكس فيبر الفعل الاجتماعي على انه: " سلوك انساني ظاهر و مستمر، يمنحه الفرد الفاعل معنى ذاتيا، فالسلوك الذي يخلو من المعنى الذاتي لا ينتهي إلى الدراسة السوسيولوجية المعمقة...الفعل الاجتماعي هو ضرب من السلوك يتضمن معنى للفاعل نفسه" و يمكن تحديد أسس الفعل الاجتماعي كما يلي:

- أسس تحديد الفعل الاجتماعي: يمكن تحديد الفعل الاجتماعي على أنه:

1. عقلاني غائي: من خلال توقعات سلوك الأشياء في العالم الخارجي وسلوك الأشخاص الآخرين، وباستخدام تلك التوقعات بوصفها" شروطا" او " وسيلة " لغايات عقلانية مرجوة و متوقعة لأنها نجاح لصاحبها.
2. عقلاني قيمي: من خلال الاعتقاد الواعي في قيم أصيلة أخلاقية أو جمالية أو دينية، أو ذات تفسير آخر، لا غنى عنها لأي سلوك معين بحت و لا علاقة لها بالنجاح.

3. انفعالي شعوري،(عاطفي) و ذلك بفعل تأثيرات راهنة وحالات شعورية(ردود أفعال غير موزونة ولا تملك تبريرات عقلانية وتتميز بعدم الثبات).
4. الفعل التقليدي: من خلال العادات التي درج عليها الشخص(ماكس فيبر، 2011، ص 53_54) (هذا النوع من السلوك تمليها التقاليد الاجتماعية السائدة و تفرضها البيئة الاجتماعية دون البحث عن المبررات العقلية لها).

ب .**الفعل الاجتماعي و العلاقات الاجتماعية:** حدد فيبر مفهوم العلاقات الاجتماعية من خلال مجموعة من المفاهيم المكونة لها و هي:

1. العرف : ويشير إلى التماثل الفعلي للعلاقات الاجتماعية من خلال سلوكيات وقواعد متعارف عليها في عملية التفاعل الاجتماعي.
2. العادة: و هو السلوك الذي يستمد وجوده من الألفة و التعود في الحياة الاجتماعية، الذي يساعد على تنظيم التفاعل الاجتماعي و تسهيله.
3. أسلوب السلوك: الذي يتسم بالتحديد و الحداثة، كاستجابة للموقف التفاعلي الجديد
4. القانون: و هو مجموعة القواعد التي تتضمن معنى الإلزام او العقاب لمن يخرج عنها، فالقانون يستمد بعض قواعده من العادة و العرف ولكن يميزه عنصر الإلزام المتضمن لسلطة الإكراه (محمد علي محمد،1983، ص 203).

إذا كانت المنظورات الوظيفية و الصراعية تؤكد على أهمية البنى التي توجه المجتمع وتؤثر في السلوك البشري، فإن نظريات الفعل الاجتماعي تولي قدرا أكبر من الأهمية لدور الفعل و التفاعل بين أعضاء المجتمع في تكوين هذه البنى. و إذا كانت المقاربات الوظيفية و الصراعية تطرح النماذج النظرية حول الطريقة التي يعمل بها المجتمع برمته، فإن الملتزمين بنظرية الفعل الاجتماعي يركزون على تحليل الأسلوب الذي يتصرف به الفاعلون الأفراد أو يتفاعلون به فيما بينهم من جهة و فيما بينهم وبين المجتمع من جهة أخرى.

لذلك يعد ماكس فيبر أول الداعين إلى تبني منظور الفعل الاجتماعي، فبرغم من أنه اعترف بأهمية البنى الاجتماعية مثل الطبقات و الأحزاب السياسية ..فغنه اعتقد في الوقت نفسه أن الأفعال الاجتماعية التي قوم بها الأفراد هي التي تخلق مثل هذه البنى. وقد جرى في وقت لاحق تطوير هذا الموقف بصورة منهجية في أوساط المدرسة التفاعلية الرمزية و التي تأثر ثرت بصورة غير مباشرة بأفكار ماكس فيبر غير ان أصولها المباشرة كانت في أعمال الاجتماعي الأمريكي " جورج هربرت ميد".

ثانيا_مفهوم التفاعلية الرمزية:

يشير مصطلح الرمز إلى الشيء الذي يشير إلى شيء آخر و عبر عنه بالمعنى، كالعلاقات والإشارات والقوانين المشتركة و اللغة المكتوبة. أما التفاعل الرمزي فيشير إلى ذلك التفاعل الذي يأخذ مكانه بين الناس من خلال الرموز ومعظم هذا التفاعل يحدث على أساس الاتصال القائم وجها لوجه، لكنه يمكن حدوثه بأشكال أخرى، كالاتصال الرمزي الذي يحدث بينك و بين المؤلف عندما تقرأ جملة له، ويحدث أيضا عندما تطيع أو تخالف الإشارة الضوئية و إشارة عدم التجاوز(سليم الغزوي و آخرون،1992، ص 53)

يشير مفهوم التفاعلية الرمزية إلى التفاعل الذي ينشأ بين مختلف العقول و المعاني، ويستند هذا التفاعل الاجتماعي على حقيقة هامة هي أن يأخذ الفرد ذاته في الاعتبار، و أن يحسب حسابا أيضا للآخرين، أي أن يستوعب أدوار الآخرين، وعلى هذا النحو يمكن صياغة صورة المجتمع الإنساني .

وتعتبر هذه النظرية أن المجتمع هو نتاج التفاعل اليومي بين الأفراد ، فالمجتمع (تبعاً لهذه المقاربة) ليس إلا الواقع المشترك الذي يبنيه الناس بأنفسهم عندما يتفاعلون مع بعضهم البعض، فالبشر يعيشون ضمن عالم من الرموز ، ويعطون معنى لكل شيء ،نحن نخلق هذا "الواقع الحقيقي" بشكل يومي عندما نعرّف ونتعرف على محيطنا ،نحن نقرّر كيفية رؤيتنا ونظرتنا للآخرين عندما نشكّل ونعيد تشكيل هويتنا.

ثالثا_جورج هربرت ميد (مؤسس التفاعلية الرمزية):

يعتبر **"جورج هربرت ميد"" G. H. Mead"** (1863_1931) المؤسس الأول للتفاعلية الرمزية، حيث يعتبر أول من تبنى المدخل التفاعلي في دراسة المجتمع و اعتبار السلوك هو الموضوع الأساسي ووحدة الدراسة ،وتسعى التفاعلية الرمزية كنظرية سوسيولوجية ، لدراسة دور الفرد وسلوكه في المجتمع داخل الجماعة التي ينتمي إليها مع الاهتمام بمكون التفاعل و التبادل الذي يحدث بين الفرد وذاته أو بيئته أو بين الجماعة و المجتمع الذي يعيش فيه، كما تسعى لتحليل نسق الرموز و المعاني التي تترجم في السلوك الفردي و الدور الوظيفي و السيكولوجي الذي يقوم به الفرد على المجتمع في نفس الوقت، ولعل من اهم الأسس التي قامت عليها المقولات الأساسية للتفاعلية الرمزية هي: (عبد الله محمد عبد الرحمن، 2002، ص 171_173)

أ_ الذات و العقل (Self and Mind)

ب_ التفاعل الاجتماعي (Social Interaction)

ج_ المعنى الرمزي (Symbolic Meaning)

ولقد ركز " ميد" على أهمية تحليل أنماط التفاعل أو محصلة الأفعال الاجتماعية التي عن طريقها يتم تشكيل المجتمع الإنساني، و من ناحية أخرى حرص على الربط بين الذات و التفاعل الاجتماعي، وذلك عن طريق تطور التراث و التي تكون عنصرا إيديولوجيا عند الفرد خلال مرحلة الميلاد الأولى، و لكنها تتطور عن طريق الخبرة و التعليم و النشاط الاجتماعي، و على هذا الأساس يؤكد "ميد" على أهمية مرحلة الطفولة في تكوين الذات الإنسانية ، أما الرمز ذاته فيعرفه "ميد" بأنه :" الدافع المرتبط بالاستجابة الذي يظهر بصورة أولية أو مقدما" (عبد الله محمد عبد الرحمن، 2002، ص 175_177).

فإذا ما حاول شخص ما أن يهددك فإنك بصورة تلقائية قد تطرحه أرضا أو تضربه برجلك ، فإن هذا التصرف منك يعكس طبيعة الاتجاه أو الموقف الذي يجب أن تتخذه مع هذا الشخص و في ضوء التقاليد أو التصرفات المعروفة في المجتمع الذي تعيش فيه، وهذا يعتبر أيضا نوع من الاستجابة لتهديد الفرد كما يعتبر رمزا وموقفا اتخذته تجاه من قام بتهديدك مسبقا . وهذا ما حاول " ميد" تفسيره والذي يقسم عموما العملية التي تتم بين الدافع و الاستجابة و التي يقصد بها، الرمز و الدلالة أو المعنى (عبد الله محمد عبد الرحمن، 2002، ص177).

و على العموم يمكن تلخيص افتراضات التحليل التفاعلي الرمزي عند جورج هربرت ميد كما يلي:

- ✓ الفرد هو كائن عقلاني ونتاج للعلاقات الاجتماعية، بحيث أنه يجمع بين التفكير العقلاني والمحتوى الاجتماعي.
- ✓ الحقيقة الواقعية هي الفرد والمجتمع، ومن ثم لا بدّ من أن ينصب اهتمام الباحث في علم الاجتماع على هذين العنصرين.
- ✓ أن المجتمع ديناميكي تطوري، و ينتج أنماط متعددة من التنشئة الاجتماعية الجديدة و المتغيرة للفرد في كل مستويات نموه النفسي و الاجتماعي.

- ✓ يتعلم الفرد الكثير من الاتجاهات النفسية والمشاعر العاطفية عبر عملية الاتصال الاجتماعي، التي تأخذ عدة أشكال لكن محورها الفرد.
- ✓ تتجسد المحصلة النهائية للعمليات الاجتماعية (التنشئة الاجتماعية)في تكوين الذات الاجتماعية لدى الفرد وتتضمن هذه الأخيرة عنصرين أساسيين هما:

1. يشير الى استجابة الشخص لاتجاهات الآخرين انطلاقا من هوية مستقلة خاصة به.
2. ويشير إلى الاتجاهات الاجتماعية التي يتعلمها الفرد من خلال عملية التنشئة الاجتماعية، بمعنى المضمون الاجتماعي للذات الفردية(عامر مصباح، 2010، ص 250_251).

رابعا_ المجتمع عند جورج هربرت ميد:

ما هو إلا حصيلة العلاقة المتفاعلة بين العقل البشري و النفس البشرية...ولا وجود للعقل أو النفس خارج المجتمع الانساني لأنهما متلازمان و متفاعلان... وما سلوك الفرد إلا انعكاس لعملية التفاعل الاجتماعي المستمرة في المجتمع و هذا يعني ان المجتمع هو المجال الحيوي للتفاعل الاجتماعي الذي تنبثق منه مفردات الفرد وهي الذات والأنا الاجتماعي و العقل.

النفس البشرية عند "ميد" تتكون من عنصرين أساسيين و هما:

1. **الذات الفردية: وهي استجابة التركيب العضوي لاتجاهات الآخرين، بنوع من الخصوصية تبعا لطبيعة شخصية الفرد.**
2. **الأنا الاجتماعي: وهي مكون مؤلف من اتجاهات الاخرين التي تعلمها الفرد عبر عمليات التنشئة الاجتماعية و التفاعل الاجتماعي بحكم وجوده ضمن الجماعة.**

النفس البشرية = الذات الفردية + الأنا الاجتماعي

و يعالج ميد في نظريته للتفاعلية الرمزية موضوع " أنا" كما أقيّم نفسي و " أنا" كما يقيّمني الاخرون، فعند تفاعل الفرد مع الآخرين لفترة من الزمن فإن الآخرين يقيمونه بعد أن يعتبرونه رمزا ذات معاني و مواصفات معينة. وعند وصول التقييم أي تقييم الاخرين للفرد المعني بالتقييم فإنه يقيّم نفسه كما يقيّمه الآخرون لأن تقييم الفرد لذاته ناجم عن تقييم الآخرين له، و هكذا

يفسر ميد ظاهرة أنا كما أقيم نفسي (I) و أنا كما يقيمني الآخرون (Me) (احسان محمد الحسن، 2010، ص 82).

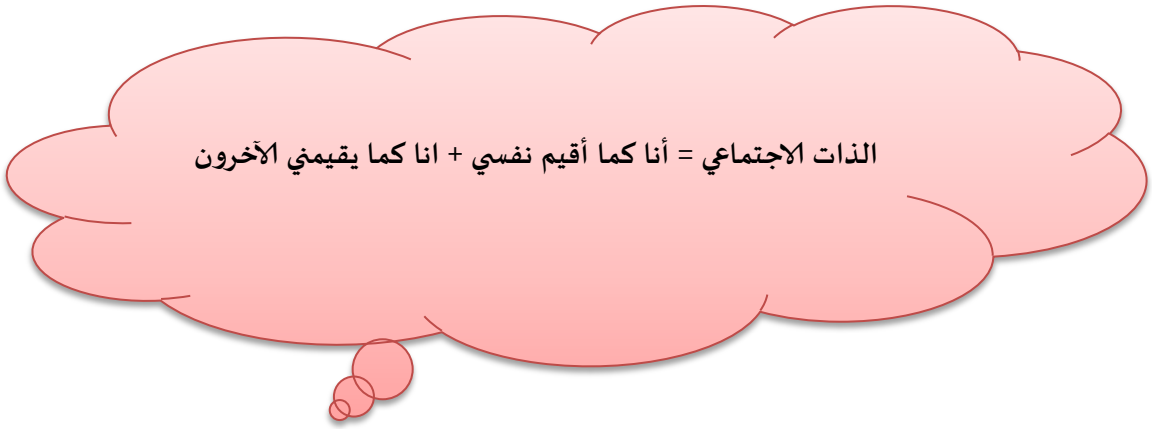

المحاضرة العاشرة: التفاعلية الرمزية الحديثة

_ هربرت بلومر و إرفنج جوفمان_

أولا_هربرت بلومر (1900_1981): (مطور أفكار هربرت ميد عن التفاعلية)

ثانيا_ إرفنج جوفمان Erving Goffman : (صاحب نظرية التمثيل المسرحي)

المحاضرة العاشرة: التفاعلية الرمزية الحديثة

_ هربرت بلومر و إرفنج جوفمان_

أولا_هربرت بلومر (1900_1981): (مطور أفكار هربرت ميد عن التفاعلية)

هو تلميذ جورج هربرت ميد إذ تأثر بأفكاره عن التفاعلية الرمزية لا سيما ما يتعلق بالذات الاجتماعية و أصل الذات و تفسير أنا كما أفهم نفسي وكما يفهمني الآخرون. إلا ان هربرت بلومر على الرغم من سيره على خطوات و أسلوب ميد في في الدراسة التفاعلية للجماعة و المجتمع إلا انه يختلف عنه في أمور كثيرة نظرا للإضافات التي قدمها للتفاعلية الرمزية.

يلخص "هربرت بلومر" "H. Blumer" القضايا الأساسية للتفاعلية الرمزية في ثلاث مقدمات:

_ الأولى أن الكائنات تسلك إزاء الأشياء في ضوء ما تنطوي عليه هذه الأشياء من معاني ظاهرة لهم.

_ الثانية أن هذه المعاني هي نتاج التفاعل الاجتماعي في المجتمع الإنساني.

_ الثالثة أن هذه المعاني تتعدل وتتشكل خلال عملية التأويل التي يستخدمها كل فرد في تعامله مع الرموز التي تواجهه.

وتظهر عملية التفاعل الاجتماعي ضمن منظور التفاعلية الرمزية عند تفاعل مجموعة من المحاور نحددها في: الذات الاجتماعية، الفرد، المجتمع، و طبيعة السلوك الخارجي للفرد(فوزي أحمد ، 2007، ص 70_71).

- **أهم إضافات بلومر للتفاعلية الرمزية:**

طرح هربرت بلومر مجموعة من الافتراضات كإطار نظري لتحليله التفاعلي الرمزي للظواهر الاجتماعية يمكن صياغتها في النقاط التالية:

1. الناس _ أفراد و جماعات_ مهيؤون للتفاعل على أساس معاني الموضوعات التي يتضمنها عالمهم، و عن السلوك يرتكز على المعاني الاجتماعية المرتبطة بموضوع معين. وهذه الموضوعات على ثلاثة أنواع:

_ الموضوعات الطبيعية (مثل الأشجار)

_ الموضوعات الاجتماعية (مثل الأدوار)

الموضوعات المجردة (مثل المبادئ الاخلاقية و الايديولوجيات والأفكار)

2. تمثل الترابطات العملية التي يشكل فيها الناس الإشارات فيما بينهم ويؤول كل منهم إشارات الآخرين، أساس التفاعل الاجتماعي الرمزي.(عامر مصباح، 2010، ص 258)
3. إن الأفعال الاجتماعية تتشكل خلال العملية التي يلاحظ فيها الفاعلون المواقف التي تواجههم، ويقومون بتأويلها, وعليه فإن الكائن البشري هو ذلك العضو في الجماعة الفعال بنفسه و الذي يشارك في شغل الدور الاجتماعي، و في نفس الوقت هو الفرد الذي يتفاعل مع نفسه في العملية التأويلية.
4. إن الأفعال المتداخلة و المعقدة تكوّن التنظيمات والنظم وتقسيم العمل، وان شبكة الاعتماد المتبادل هي عملية ديناميكية وليست أمورا ثابتة.
5. إن البشر يتصرفون حيال الأشياء على أساس ما تعنيه تلك الأشياء لهم.
6. هذه المعاني الرمزية هي نتاج للتفاعل الاجتماعي في المجتمع الانساني.
7. يتم تحوير المعاني الرمزية و تعديلها وتداولها بعد ذلك عبر عملية تأويل يستخدمها كل فرد في تعامله مع الإشارات التي يواجهها و يتفاعل معها(عامر مصباح، 2010، ص 259)

ثانيا_ إرفنج جوفمان Erving Goffman : (صاحب نظرية التمثيل المسرحي)

يلخص إرفنج جوفمان" محددات التفاعل الاجتماعي في النقاط الاتية:

1. إن محور تفاعل المعلومات او الانطباعات الذهنية المتداولة و المحيطة بالفرد تعرف بالموقف، كما أنها توضح توقعات الدور المتضمن في الموقف.
2. إن الروتين قد يصبح مقننا في حالة المواجهة، و من ثم تتأثر مثل هذه المواجهة بالوضع الاجتماعي و البيئة الطبيعية والمظهر الشخصي للمواجهة (العمر ، النوع، الملبس). تشكل كل هذه العناصر مؤشرات لمركز التفاعل الاجتماعي الرمزي.
3. إضافة إلى ما سبق تميل المواجهات في موقف التفاعل الاجتماعي الرمزي نحو التنظيم، بحيث تشكل نسقا معينا يصوغ الصورة المتكاملة للتفاعل.

4. إن السلوك داخل إطار المواجهة التفاعلية قد يأخذ صورة التمثيل المسرحي الذي يتضمن نماذج من النشطة السلوكية الاجتماعية المحددة الأدوار.
5. إن سلوك الدور لا ينفصل عن العمل وكلاهما يرتبط بسلوك الآخرين ضمن مجال التفاعل عندما يكون الفرد يتفاعل داخل فريق عمل.
6. تأخذ تصرفات الفريق السلوكية مكانها في نطاق بيئات اجتماعية معينة و تبرز كنماذج سلوكية متضمنة لأدوار معينة في مسرح التفاعل الرمزي(عامر مصباح، 2010، ص 262_263).

إذا فأساس التفاعل الاجتماعي عند إرفنج جوفمان_ يقوم على إدراك الفرد لأهمية الاخرين المحيطين به، من الذين يحبونه أو لا يحبونه. لذلك انصب اهتمامه على موضوع كيفية تأثير آراء الأخرين على إدراك الفرد وسلوكه، الذي ينتج عنه عملية التفاعل الاجتماعي. بمعنى أن إدراك الفرد لوجود الآخرين والأهمية الدلالية التي يعطيها لهذا الوجود ، تجعل سلوكه مرهونا بهذا الإدراك بشكل يكون للآخرين قوة سيطرة على سلوكه و توجيهه. وهذا الانطباع الفردي حول الآخرين هو الذي يحدد عملية التفاعل الاجتماعي في رأي _ جوفمان_ و من خلال عملية التفاعل الاجتماعي هذه ، يتمكن الفرد من الحصول على معلومات خاصة حول الأفراد الذين يتفاعل معهم لكي يحسن التفاعل معهم بناء على هذه المعلومات التي يتلقاها.

المحاضرة الحادية عشر: النظرية النقدية (مدرسة فرانكفورت)

_ ماكس هوركهايمر و تيودور أدورنو_

أولا_مفهوم النقد

ثانيا_ النظرية النقدية

ثالثا_ خصائصها و سماتها العامة

رابعا_ ماكس هوركهايمر Max Horkkheimer

خامسا_ تيودور أدورنو Theodor Adorno

المحاضرة الحادية عشر:

النظرية النقدية (مدرسة فرانكفورت) _ Criticism Theory

_ ماكس هوركهايمر و تيودور أدورنو_

ترتبط النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت أوثق ارتباط " **بمعهد فرانكفورت للبحث الاجتماعي**" الذي أسسته في سنة 1923 نخبة من الفلاسفة و علماء الاجتماع و الاقتصاد و النفس والنقد الأدبي و الجمالي، و قد حددوا وضعه وهدفه منذ البداية بحيث يكون معهدا حرا غير مقيدا بالنظم الجامعية والأكاديمية، يتفرغ لبحث المشكلات الاشتراكية والماركسية و العنصرية وحركة العمال، مع الاعتماد بصورة عامة على المنهج الماركسي في التحليل النقدي الاجتماعي، وقد كان من بين أعضائه في العشرينيات و الثلاثينيات من القرن الماضي عددا من الاعلام الذين ذاعت شهرتهم بعد ذلك في الحياة الفكرية والأدبية مثل عالم النفس الاجتماعي و الكاتب الفيلسوف " إيريك فروم" (1900_1980)، و الناقد الأدبي الماركسي فالتر بنيامين (1892_1940)، ثيودور أدورنو (1903_1960)، هربرت ماركيوز (1898_1979) ، و فيلسوف الاجتماع ماكس هوركهايمر(1895_1973) الذي تولى إدارة المعهد من سنة 1930 إلى غاية 1934م عندما أغلقته السلطات النازية، فاستمر في الاشراف عليه بعد ضمه إلى جامعة كولومبيا في نيويورك في الولايات المتحدة الأمريكية (من 1934_1950)، بجانب إشرافه على إصدار مجلة " البحث الاجتماعي " ورئاسة تحريرها من 1932 إلى 1941م. و تجمع الآراء اليوم على أن أصحاب الأسماء الثلاثة الأخيرة (هوركهايمر، أدورنو، ماركيوز) هم مؤسسو " النظرية النقدية الجدلية" وأهم ممثليها من الجيل الأول، بالإضافة إلى اهم ممثليها من الجيل الثاني و أشهرهم وهو المفكر و الفيلسوف الاجتماعي " يوجين هابرماس".(عبد الغفور مكاوي،2018، ص 16_17).

أولا_مفهوم النقد:

إن كلمة النقد ترجع إلى الكلمة الإغريقية Xpivier و تعني الحكم، وهو نفس ما يعنيه تعريفها القاموسي في لغات أوربا القديمة و الوسيطة، ويحدد لنا " بوتومور" دلالتين في المصطلح في اللغة الانجليزية الأولى هي Criticism و يعني النقد بمعناه الشائع الكشف عن الأخطاء، كما يعني الفحص الدقيق غير المتحيز لمعنى شيء أو مضمونه أو قيمته، و الثانية هي Critique و تعني النقد المستند

إلى أسس منهجية واضحة المعالم. فالنقد يعني فاعلية نظرية وأداة إجرائية رئيسية في النظر و التفكير، تستهدف مسألة الطرق التي تتكون بها القناعات بإظهار زيفها و نقصها (حسام الدين فياض،2010، ص 4_5) .

ثانيا_ النظرية النقدية:

يمكن اعتبار النقد السمة الرئيسية لمدرسة فرانكفورت، حيث عبرت عن هذه الأفكار من خلال " نظرية المجتمع النقدية" التي اعتبرت بمثابة مدخل للعلوم الاجتماعية يعتمد على كل من " كارل ماركس" و " سيغموند فرويد"، و تستهدف هذه النظرية نقد و تحليل المجتمع، و بذلك تكون في جوهرها نظرية تقييمية معارضة للعقائد المذهبية مثل " الوضعية" التي ترى بأن العلوم الاجتماعية ينبغي أن تكون متحررة من التقييم، ففي مقابل ما تراه الوضعية حول " ماذا يكون" فإن النظرية النقدية تطرح الموقف المثالي" ماذا ينبغي أن يكون" (ميشال مان،1994، ص 160).

ومن أهم القضايا النقدية التي كانت مصدرا للجدل بين كل من المدرسة النقدية و النظريات السوسيولوجية الوظيفية أو الماركسية، تصورات الأخيرة حول الطبقات الاجتماعية، والانتاج وعلاقات العمل، و الديموقراطية، والاغتراب وحقيقة دولة الرفاهية والنشاط السياسي و التنظيمات والمؤسسات الاجتماعية التي توجد في كل من المجتمعات الاشتراكية السابقة أو أيضا المجتمعات الرأسمالية الغربية. علاوة على دراستها إلى أفكار أخرى مثل اللامساواة، والتمييز العنصري ودولة المؤسسات و الثقافة ككل.(عبد الله محمد عبد الرحمن و السيد رشاد غنيم،2010، ص 125).

ثالثا_خصائصها وسماتها العامة:

أ_ التشيؤ و الاغتراب:

تكاد مقولة " التشيؤ و الاغتراب" إطارا مرجعيا لمعظم الأفكار التي يطرحها فلاسفة النظرة النقدية، ونواة مركزية يدور حولها الجانب الأكبر في مناقشاتهم وتحليلاتهم للمجتمع الرأسمالي و الصناعي العقلاني الحديث، وتعبر هذه المقولة في أبسط أشكالها عن أن المجتمع و البشر ليسوا في واقع حياتهم ما يمكن أن يكونوه بحسب ماهيتهم و إمكاناتهم، ذلك أنهم في الحقيقة مغتربون عن هذه الإمكانات و تلك الماهية، فالمجتمع الصناعي المتقدم الذي ينصب عليه حديثهم عن هذه المقولة يكشف عن اغتراب الانسان و تشيئه في ظواهر عديدة ومتنوعة. من هذه الظواهر أن الإنسان قد

تحول في ظل علاقات العمل الصناعية و الرأسمالية إلى مجرد عنصر أو جزء ضئيل من جهاز الإنتاج الهائل. وصار عجلة صغيرة مجهولة قابلة لآن يستبدل بها غيرها داخل " العالم التقني" الضخم الذي يصعب الإحاطة بشبكته المعقدة أو بالقوى التي تحرك خيوطه (عبد الغفور مكاوي، 2018، ص 18_19).

فالإنسان واقع تحت ضغط الآلات التي تفرض عليه ألوانا من السلوك النمطي الرتيب، وتسد عليه منافذ المبادرة الشخصية الحرة ، و تعوق تحديده لذاته, وتتجلى ظاهرة التشيؤ و الاغتراب بجانب ذلك في تسلط النظم البيروقراطية و أساليب القمع الإداري المختلفة التي تجعل الإنسان معرضا لمظاهر القهر الخفية و السافرة في المجتمع الصناعي المتقدم الذي أحكمت أجهزة الإدارة قبضتها عليه. بحيث انحطت قيمتهم الانسانية و الذاتية تحت ضغط عملية الإنتاج الآلية إلى مستوى الشيء الذي تشكله القوى المسيطرة كيفما شاءت.

ويحدد أصحاب النظرية النقدية أسباب التشيؤ و الاغتراب التي ترجع للنظام الاقتصادي الرأسمالي، فعلاقات الانتاج و السوق الرأسمالية هي المسؤولة عن " عبادة السلع" التي أفت على علاقات الناس بالأشياء و ببعضهم البعض طابع السلعة، وحصرتها في نطاق المنافع والوسائل المجردة من كل لمسة انسانية. أضف إلى ذلك تقسيم العمل الموغل في التخصص خلال عملية الإنتاج ومَيْكَنَة العمل نفسه وبيروقراطية الإدارة وصناعة الدعاية و الاعلام ووسائطهما الجماهيرية...الخ(عبد الغفور مكاوي، 2018، ص 19_20).

ب_ العقل الأداتي او العقلانية التقنية:

ويقصد بالعقل الأداتي نوعا من التفكير السائد في المجتمع الصناعي الحديث وهو ما وصفة _ هربرت ماركيوز_ بالتفكير ذو البعد الواحد، و يتضح ذلك في أسلوب التفكير العلمي والتقني،كما تعبر عنه الفلسفة الوضعية بأشكالها المعاصرة و الفلسفة البراغماتية (العملية). وهنا يجب أن نشير أن مصطلح "الأداتية" يتضمن مضمونين: فهو أسلوب لرؤية العالم وأسلوب لرؤية المعرفة النظرية، بحيث أن رؤية العالم بوصفه أداة تعني اعتبار عناصره أدوات نستطيع بواسطتها تحقيق غاياتنا مثال على ذلك: أنا لا انظر إلى الشجرة لما يجلب لي جمالها من متعة و رضى بل أنظر إليها خشبا استفيد منه لصناعة أثاث أو يمكن تحويله إلى ورق اكتب عليه كتاباتي.. وبإمكاننا أيضا النظر إلى المعرفة باعتبارها أداة ووسيلة لتحقيق غاية(فياض،2010، ص15_16).

ج_ القمع و التسلط في المجتمعات الصناعية المتقدمة:

إن القمع و التسلط الذي يطبع المجتمع الصناعي المتقدم بطابعه من اهم المقولات التي تؤكدها النظرية النقدية، ويرجع الفضل في ترويج هذه المقولة و الالحاح عليها ل " هربرت ماركيوز" الذي حاول أن يجد لها مبررا معقولا من كتابات " فرويد" عن فلسفة الحضارة و من فلسفة التحليل النفسي بوجه خاص، فقد استند إلى زعم " فرويد" أن التطور الاجتماعي و الحضاري الذي حققته البشرية لم يتم إلا بالقمع المستمر للدوافع و الحاجات الانسانية الأولية، و يسري هذا او " الكبت" الضروري على تطور شخصية الفرد، إذ لا بد لكل إنسان أن يتعلم منذ طفولته كيف يتحكم في دوافعه المتجهة بطبيعتها لإشباع حاجته إلى اللذة و السعادة إشباعا لا حدّ له، لكي يتسنى له المحافظة على بقائه و التعايش مع غيره. و من هنا يكون احترام النظم الاجتماعية و القواعد على الدوام نوعا من القمع الواعي أو غير الواعي للدوافع و الرغبات و الحاجات الأولية.(عبد الغفور مكاوي، 2018، ص 23).

رابعا_ ماكس هوركهايمر Max Horkkheimer (1895_1973):

فيلسوف و عالم اجتماع و احد مؤسسي النظرية النقدية ل " مدرسة فرانكفورت" و روادها من الجيل الأول.

ولد في مدينة أشتوتجارت سنة 1895م، ودرس في جامعة فرانكفورت التي حصل منها على الدكتوراه سنة 1922 م، وعلى الدكتوراه المؤهلة للتدريس الجامعي سنة 1925م،وعُيِّنَ بها في وظيفة مُدرِّس للفلسفة الاجتماعية من 1926 م إلى 1930 م، ووظيفة أستاذ من 1939 إلى 1933. تولى سنة 1930 إدارة "معهد فرانكفورت للبحث الاجتماعي " الذي ضم ممثلي النظرية، كما أسس "مجلة البحث الاجتماعي تحريرها من سنة 1930 م حتى توقُّفها عن في سنة 1940 م .هاجر إلى سويسرا ومنها إلى الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1934 م بعد استيلاء النازيين على مقاليد السلطة في ألمانيا، وهناك أقام معهد البحث الاجتماعي في جامعة كولومبيا بمدينة نيويورك مع الذين هاجروا معه أو لحقوا به، مثل صديق عمره " ثيودور أدورنو". (عبد الغفور مكاوي،2018، ص 41). من اهم أعماله:

1. النظرية التقليدية و النظرية النقدية صدر عام 1931
2. الدولة المستبدة عام 1942
3. جدلية العقل (بالاشتراك مع ثيودور أدورنو)

4. _جدل التنوير (بالاشتراك مع أدورنو) وقد نشر عام 1972
5. فلسفة إيمانويل كانط (رسالة دكتوراه).

✓ **أهم أفكاره:**

1. ظاهرة الحرب:

يرى **هوركهايمر** أن الحرب العالمية الثانية لا تعبر عن تصادم عسكري بين الدول الديموقراطية و الدول الفاشية، و إنما هي تعبير عن سعي هذه الدول المستمر لتنظيم هيمنتها وقبضتها على الدول الأخرى، وفق منهج متقدم وواع بالطرق والوسائل والأدوات المستخدمة في تنفيذ الهيمنة. و ما ظاهرة الأحلاف في العلاقات الإنسانية إلا وضع جديد للطبقة المهيمنة، توفر لها نفسًا جديدا للبقاء و الاستمرار، و يساعد على ابتكار وسائل جديدة وعقلانية لتقوية هيمنتها وإحكام قبضتها. فالحرب هي شر تام وحدث سلبي لا يستطيع تغيير الوضع جذريا أو توفر حلا جذريا نافعا للوضع القائم. وكل الأفكار التفاؤلية في رأيه ماهي إلا أفكار مثالية بعيدة عن الواقع، يجب نقدها ومقابلتها بالتشاؤم على اعتبار أن التشاؤم يؤدي إلى النقد، و النقد يبلور الفكر النقدي، و الفكر النقدي يؤدي إلى التغيير الجذري باعتباره رفض للوضع القائم (عامر مصباح، 2010،ص 282_283).

2. الرأسمالية:

عند تحليله لظاهرة الرأسمالية وتطورها وامتدادات هيمنتها على المجتمع، حاول **ماكس هوركهايمر** في كتابه " الدولة المستبدة" (1942)أن يبلور أفكاره النقدية حول الرأسمالية، من خلال دراسة تطورها عبر العملية التراكمية وتجميع رؤوس الأموال إلى مستوى الاحتكارات الكبرى بشكل تصبح جميع المجالات الاجتماعية في قبضة هيمنة المؤسسات الرسمية للدولة الرأسمالية، وممتدة وشاملة لكل شيء. ويظهر استبداد الدولة الرأسمالية في رأيه من خلال تنويم التناقضات الاجتماعية وفق اتجاهات النظام السياسي الرأسمالي وجعلها متوازنة ومنسجمة مع مساره و مصالحه وبالتالي تلطيف حدة التناقضات الاجتماعية في الدولة الرأسمالية.(عامر مصباح، 2010، ص 283).

3. الماركسية :

ترى النظرية النقدية أن تصور التاريخ باعتباره نتاج ضروري لآليات اقتصادية فقط يعتبر شيئا خاطئا، كما ان دراسة التطور والأحداث الاجتماعية وتفسيرها كنتيجة آلية للبعد الاقتصادي

المادي، يعتبر تفسيرا بعيدا عن الصواب، لاسيما و ان التطور و التغير الاجتماعي نشأ نتيجة لقرارات اجتماعية وجمعية اتخذت بصورة حرة بعيدا عن الثورة أو النضال الثوري الذي اعتمدت عليه الماركسية كوسيلة أو أداة للتغير و التطور. و كما يوضح "هوركهايمر"، أن ماركس و الماركسية كانوا يعتقدون أن الطبقة العمالية البروليتاريا سوف يعتمد عليها كأداة للتحول و التطور الجذري في المجتمع، ولكن الشواهد التاريخية التي ظهرت في ألمانيا خلال فترة حكم هتلر وظهور النقابات الأمريكية الثورية و البيروقراطية السوفياتية، تعتبر شواهد واقعية تنفي تماما الرؤى الماركسية التقليدية، وهذا ما جعل الماركسية المحدثة تعيد تفكيرها الكلاسيكي، لأن كثيرا من دول العالم الحديث تبنت الماركسية بعيدا عن وجود الطبقة العمالية (البروليتاريا). ومن هذا المنطلق، نجد أن نظرة " هركهايمر" ممثلا عن رواد النظرية النقدية، تؤكد اهمية وضرورة تحالف الطبقات الاجتماعية، بما فيها الرأسمالية مع طبقة العمال (البروليتاريا)، من أجل جعل هذا التحالف الاجتماعي هو المركز والواقع الحقيقي لعمليات التطور و التغير، واستحداثها قوى جديدة .ما من شك أن آراء رواد النظرية النقدية جميعها اشتركت في طرح أسس هذه النظرية واعتمادها.

إن أساس النظرية النقدية هو اعتمادها على البعد النقدي و التحليل الاجتماعي، باعتباره الفكرة الرئيسية التي قامت عليها تصورات و آراء مدرسة فرانكفورت

خامسا_ تيودور أدورنو Theodor Adorno (1903_ 1969):

فيلسوف و عالم اجتماع و موسيقي ألماني ، من اهم رواد المدرسة النقدية و اشتهر بنظرياته النقدية الاجتماعية. ولد عام 1903 بفرانكفورت بألمانيا. ساهم أدورنو في صياغة الثقافة السياسية الجديدة لألمانيا الغربية بعد عودته من الولايات المتحدة الأمريكية عند انتهاء الحرب حتى وفاته عام 1969، واستأنف عمله كأستاذ في جامعة فرانكفورت فور عودته إلى ألمانيا وأعطى الكثير من المحاضرات النقدية حول فلسفة هيغل وكانط وعلم الجمال والمشكلات المعاصرة في نظريَّة المعرفة ومفهوم المعرفة.

تجلت مساهمة الرائد الثاني للنظرية النقدية في مجموعة من الأعمال العلمية التي أنجزها بمفرده أو بالإشتراك مع آخرين، و التي منها:

- ✓ جدل العقل (بالاشتراك مع هركهايمر)
- ✓ الجدل في عصر التنوير و الذي صدر عام 1947
- ✓ الجدل السلبي و الذي صدر عام 1967
- ✓ النظرية الجمالية
- **أفكاره:**

1_نقد الفلسفة:(عامر مصباح،2010، ص 287)

الفكرة الأساسية التي انطلق منها : ثيودور أدورنو" في تحليله الاجتماعي النقدي هي مناقشة سبب إخفاق الثورات الاشتراكية بعد نجاحها في روسيا عام 1917، بان وجه نقدا للتجارب الفاشلة في تطبيق الاشتراكية عبر العالم خاصة في أوروبا. وكان نقده للاشتراكية قائما على نقد الفلسفة التقليدية، بسبب فقدانها للطابع الثوري في مضمونها وأسس تفكيرها حول علم الاجتماع. لذلك كان تشخيص "ثيودور أدورنو" للفلسفة بأنها علم فوقي لا يتعامل مع حقائق الواقع المتأزم الذي يعيشه العالم الاجتماعي، فهي فكر يبلور مفاهيم ونظم فكرية مثالية لا تمت للواقع بصلة. إنها لم تعالج مشاكل المجتمع الحقيقية التي تتسم بالتناقض بين ذات الفرد وهويته التي يعمل المجتمع الرأسمالي على إذابتها في المؤسسات القائمة مثل الدولة و السلطة السياسية و الدستور والهيئات الإدارية و التنظيم البيروقراطي.

وعليه يبدأ منهج " ادورنو" من الفلسفة كنسق مثالي وفكر فوقي و ينتهي بالواقع المتأزم المحيط بالفرد في المجتمع الرأسمالي، باختصار، يكمن فهمه للفلسفة في أنها ذلك الفكر الذي يتجنب الحديث عن جوهر المشكلة، و يقيم نموذجا جديدا للتحليل المادي للواقع. فهو يصر على أنه يجب على الفلسفة أن تهتم بدراسة الواقع وظواهره العامة، و التي من بينها الكلمات، أي دراسة النصوص و الإنتاج الثقافي ككل.

2_البحوث السوسيولوجية الإمبريقية (الميدانية) : حاول " أدورنو" أن يقدم العديد من البراهين و الشواهد على اهمية الأبحاث الميدانية التجريبية، و التي سوف تعزز عموما من نتائج بحوث علم

الاجتماع و تطور الأساليب من ناحية و الإطار التصوري و الفكري الذي يوجه هذه البحوث ويجعلها مرتبطة بالواقع، من ناحية أخرى.

ولقد استمرت محاولات " أدورنو" بعد عودته من الولايات المتحدة الأمريكية في نشر مجموعة من المقالات التي تربط بأهمية البحوث السوسيولوجية الميدانية، وتوضح العلاقة بين النظرية والأسس المنهجية، وحذر من طبيعة إجراء البحوث الاجتماعية الفردية، و التي تجرى بعيدا عن الاستفادة من النتائج العامة التي تحصل عليها أو تتوصل لها العديد من الدراسات الميدانية. لقد اكتسبت آراء " أدورنو" تأييد مع البدايات الأولى من عقد الستينات من القرن الماضي (القرن 20م)، ورات الجمعية الألمانية لعلم الاجتماع ضرورة عقد مؤتمر علمي لمناقشة أهمية البحوث السوسيولوجية الميدانية التجريبية. وهذا ما تبلور في أول مؤتمر عقد بعد ذلك بعنوان" منطق العلوم الاجتماعية"، و الذي ترأسه الفيلسوف النمساوي البريطاني " كارل بوبر" مع " ادورنو" اللذان أكدا على اهمية وجود نوع من التوافق بين كل من مفاهيم علم الاجتماع و النظرية النقدية، وطبيعة الموجهات التصورية التي توجه البحوث السوسيولوجية لدراسة الواقع الميداني، والتوصل إلى مجموعة من القوانين و النتائج العامة التي تساعد في فهم المجتمع وصقل كل من النظرية السوسيولوجية ومناهج البحث التجريبي و الميداني في نفس الوقت.(عبد الله محمد عبد الرحمن، 2003، ص 447_446)

كما اكد " ادورنو" على ضرورة التمييز بين مناهج العلوم الطبيعية والاجتماعية، نظرا لتباين نوعية الموضوع او الظاهرة المدروسة التي يقوم بدراستها وتحليل كل منها. وبصورة عامة، سوف تعجز المناهج الطبيعية في فهم المجتمع الذي يحتوي على كثير من التناقض و التعقيد، وتعدد العوامل المسببة للمشكلة أساسا للظواهر الاجتماعية بصورة عامة.

لقد اتخذت النظرية النقدية موقفا نقديا من مجمل النظريات البنائية الوظيفية و التي تمثلت أولا في النظرية الوضعية الغربية، وأيضا نقد النظرية الماركسية، لعدم صلاحيتهما لدراسة واقع المجتمعات الحديثة خلال النصف الأول من القرن الماضي. وهذا ما جعل رواد النظرية النقدية من الجيل الأول من امثال " هوركهايمر و ماركيوز و أدورنو" و حتى الجيل الأخير من أمثال " هابرماس" ، يعيدوا تحليل ودراسة التراث الفكري و السوسيولوجي و الثقافي من اجل بلورة نظرية جديدة (النظرية النقدية) يمكن الاستعانة بها في دراسة تطور المجتمع البشري، وفهم الواقع الاجتماعي

المعاصر بصورة أكثر فهما و تحليلا من أجل تطوير هذا الواقع، وجعله أكثر ملائمة لحياة الأفراد والمجتمعات ويقوم على أسس من المساواة و الحرية و إشباع الذات الفردية و الجمعية.

وفي نفس الوقت لقد مرت النشأة التطورية للنظرية النقدية بعدة مراحل سواء خلال وجودها في ألمانيا، أو مرحلة التأسيس، حتى مرحلة الهجرة إلى الدول الأوروبية و الولايات المتحدة، أو مرحلة النفي ثم مرحلة العودة إلى ألمانيا مرة أخرى لتطور من أفكارها و تصوراتها العامة وطرحها العديد من الأطر النظرية و الفكرية من ناحية، و استخدامها الأساليب المنهجية و البحثية الإمبريقية (الميدانية) من ناحية أخرى. و لتطرح قواعد جديدة للنظرية النقدية بصورة عامة، و إلى قيام علم اجتماع بصورة خاصة يقوم بالدور الرئيسي في دراسة الواقع الاجتماعي المتغير، و ليساهم في دراسة و تحليل هذا الواقع على أسس علمية.

المحاضرة الثانية عشر: النظرية الظاهراتية (الفينومينولوجي)

_ ايدموند هسرل و الفريد شوتز_

أولا_مفهوم الظاهراتية

ثانيا_ إيدموند هسرل Edmund Husserl

ثالثا_ ألفريد شوتز Alfred Schutz

رابعا_ منهجية البحث في النظرية الظاهراتية

المحاضرة الثانية عشر: النظرية الظاهراتية (الفينومينولوجي)
Phenomenology Theory_ ايدموند هسرل و الفريد شوتز_

جاءت النظرية الظاهراتية(الفينيومينولوجيا) كرد فعل للفلسفة الوضعية بزعامة إميل دور كايم التي تؤكد على الفصل بين الذات وموضوع البحث واعتبار الموضوع شيئا منفصلا تماما عن شعور الذات .لقد بدأ بعض علماء الاجتماع المعاصر يشككون في قدرة المناهج الوضعية والإمبريقية على فهم الواقع الاجتماعي فهما دقيقا ،مما دفعهم إلى طرح بعض البدائل المنهجية كالفهم الفينيومنيولوجي والتحليل الأثنومينيولوجي.

أولا_مفهوم الظاهراتية:

اطلق اسم هذا المصطلح " الظاهراتية " العالم الاجتماعي " ادموند هوسرل"، ومضمونه يشير إلى الوصف الدقيق لمعطيات الواقع في تجاربنا المباشرة لمعرفة مكنونات الظاهرة دون الالتفات إلى جوانبه السطحية أو إلى أعراضه الحسية الظاهرية.

لكن هناك من يرى بأن استخدام مفهوم " الفينومينولوجي **Phenomenology** " لأول مرة، يرجع إلى عالم الاجتماعي الألماني " هيجل" في كتابه الذي يحمل عنوان " فينومينولوجيا الروح Phenomenology of Spirit" الذي نشر عام 1808م.

أما في اللغة العربية، فيعني المصطلح ، علم الظواهر، حيث يتكون المصطلح من مقطعين يشير المقطع الأول phenomeno ظاهرة أو المظهر المدرك، أو الشيء كما يبدو لنا و ليس الشيء في ذاته. أما المقطع الثاني logy فيعني علم مستوى عالي من التجريد، و بذلك يشكل المقطعان معا مصطلح الفينومينولوجي، أي علم الظواهر (عامر مصباح، 2010، ص 320).

وتركز الظاهراتية على مفهومها الأكبر " التخلل الذاتي" أو " الذوات المتداخلة" التي تعني إجابات على التساؤلات الاتية:

كيف نعرف أفكار الاخرين؟ كيف نعرف أنفسنا؟ كيف يتم تبادل آراؤنا وإدراكاتنا مع الاخرين؟ كيف يحصل التفاهم المشترك بين المتفاعلين؟ كيف يتصل الفواعل فيما بينهم؟ فهدف النظرية كما حدده ألفريد شوتز هو معرفة جوهر الظاهرة الداخلي البؤري لكي ينفذ إليها و يكتشف مكنونها

الذاتي من أجل معرفة تكوينها الجزيئي المتكون من المشاعر و الإدراكات والأحاسيس الداخلية عند التفاعل وكيف تتبادل هذه المشاعر مع مشاعر وإدراكات وأحاسيس الآخرين.

ويرى ماكس شيلر أن الظاهراتية تشير إلى الوصف الدقيق لمعطيات الواقع في تجاربنا المباشرة لمعرفة مكنونات الظاهرة دون الالتفات إلى جوانبه السطحية أو إلى أعراضه الحسية الظاهرية (عامر مصباح، 2010، ص 320_321).

ويمكن تحليل نظرية الظاهراتية بأنها نظرية اجتماعية قامت على أنقاض أزمة العلوم الإنسانية التي تتمثل في محاولتها تطبيق منهج العلوم الطبيعية .فمنهج العلوم الإنسانية المتأثر بالعلوم الطبيعية يبحث في الإنسان وكأنه مادة ويحول إلى أرقام ومعدلات إحصائية.الواقع فيما ترى النظرية الظاهراتية أن الإنسان لا يمكن تنميطه في أشكال وفئات كمية حسية .إن هناك حاجة إلى منهج ونظرية اجتماعية تبحث في الإنسان كإنسان. لذلك خلال الربع الأخير من القرن العشرين تم استحداث كثير من الأفكار و التصورات الكلاسيكية النظرية في علم الاجتماع، نتيجة لظهور تصورات أكثر واقعية وتهتم لتحديث آراء وأفكار النظريات التقليدية في علم الاجتماع. وهذا ما يوصف به المدخل الفينومينولوجي كأحد المداخل السوسيولوجية الحديثة، التي لاقت انتشارا ملحوظا خلال السنوات الأخيرة. ولاسيما تركيز أصحاب هذا المدخل على دراسة نسق المعرفة وتحليل المعاني والأفكار والتصورات أو ما يعرف عموما بالدراسة الظاهراتية.

كما سعى أصحاب هذا المدخل إلى ضرورة اختيار البدائل الجديدة في دراسة السلوك البشري ودراسة أنماط التفاعل ونوعية المواقف، وعمليات الشعور والإدراك وذلك عن طريق الاعتماد على خبرات الأفراد وقدراتهم المعرفية وقدراتهم الحياتية وتصوراتهم وانطباعاتهم عموما حول حقائق الأمور و الظواهر الاجتماعية والمعرفية (عبد الرحمن و غنيم،2008، ص 127_128).

ثانيا_ إيدموند هسرل Edmund Husserl:

ولد أدموند هسرل في تشيكوسلوفاكيا في عام 1859، وتلقى تعليمه الأول والثانوي و الجامعي في أستراليا و ألمانيا، و كانت نتيجة رحلته العلمية الأكاديمية حصوله على شهادة الدكتوراه في الرياضيات، لكن التقاءه مع فرانس برنتانو غير من طريقة تفكيره بأن اتجه نحو التفكير الفلسفي و ، قد توفي في عام 1938.

- **أفكاره:**

_حاول إيدموند هسرل البرهنة على أن تحليل بنى العقل هو العلم الأول الذي على عالم الاجتماع أن يبحثه.

_ فروع العلم الاجتماعية و الطبيعية تعتمد في _ نظره_ على مفاهيم ظاهراتية.

_ لا يمكن أن يقوم قائم للمعرفة إذا أبقت نفسها منفصلة عن الواقع.

_ الظاهراتية لا بد أن تهتم بتحليل البنى وعمل الوعي الانساني ومسلماته الرئيسية المضمرة في وعينا، على افتراض أن العالم الذي نعيش فيه عالم مشكل في وعينا أو في رؤوسنا، و لا معنى للعالم الخارجي إذا ما فصل عن وعينا.

_ العالم الاجتماعي ليس مفروضا على وعي الإنسان و إنما الوعي هو الذي يقوم بصياغته ويتفاعل معه وفق الصياغة التي يعطيها له. بمعنى آخر، أن العالم الاجتماعي المحيط بالفرد يخلق بواسطة العمليات الذاتية للعقل البشري وفق طرق و سبل تجريدية معقدة يقوم بها.

_ من أجل فهم موضوعات علم الاجتماع لابدّ من فهم الوعي الذي يصوغها والطريقة التي يشكل بها العالم الاجتماعي.(عامر مصباح، 2010، ص 323_324)

و يعني الوعي عند هوسرل_ كمفردة للتحليل، الوعي العلمي المتحرر من أي تأثير للبيئة الطبيعية عليه، بشكل يدرك الأشياء على حقيقتها. وبهذا الشكل يمكن أن تتحقق الحرية العقلية في التفكير الاجتماعي من المنظور الفينومينولوجي. هذا التفكير لا يشبه التفكير التجريبي في العلوم الطبيعية ولكنه تفكير يستهدف الوعي القائم بين الفرد و العالم الاجتماعي عبر عملية التفاعل الاجتماعي.

ثالثا_ ألفريد شوتز Alfred Schutz (1899_1959):

عبر شوتز عن أفكاره في مؤلفه الشهير " فينومينولوجيا العالم الاجتماعي" The Phenomenology Of The Social Word"

ومن خلال هذا المؤلف حاول تفسير تشكل الظواهر الاجتماعية من خلال الناس «العاديين» و «الخبراء» والهدف من ذلك هو توضيح مدى الثراء الفكري الذي يمكن ان تنطوي عليه محاولات التنظير بالاعتماد على الخبرات الشائعة التي تزخر بها الحياة اليومية، فضلا عن محاولات التوفيق المختلفة التي تتم من خلال الفكر الفلسفي والاجتماعي ولقد عالج شوتز عددا من القضايا المهمة التي تمثل أهمية خاصة بالنسبة الى الفكر الاجتماعي النقدي الحديث، ومن هذه القضايا : الواقع الاجتماعي، ومجالات المعنى والبناء الاجتماعي، والتشيؤ، والحتمية، والعلم، والمعرفة، وعلم الاجتماع الامبيريقي، اما الافتراض الاساسي الذي تنهض عليه هذه القضايا فهو: أن _الحياة_ تمثل نمطا من التنظيم الاجتماعي، وان العالم المحسوس والخبرة الحياتية يمثلان الموضوع الاساسي لعلم الاجتماع.(النوبي بن فرج،2011).

رابعا_ منهجية البحث في النظرية الظاهراتية:

يتبع البحث الظاهراتي مجموعة من الخطوات المنهجية في تحليل الظواهر الاجتماعية يمكن إجمالها في النقاط الاتية:

1. تحديد إشكالية البحث بحيث تتحد أبعاد الظاهرة الاجتماعية المراد بحثها، و ذلك وفق الخطوات المنهجية التالية:

أ_ الاستدلال العلمي في بناء الإشكالية

ب_ تحديد علاقة الظاهرة التفاعلية مع الظواهر الأخرى.

ج_ الصياغة النهائية لسؤال الدراسة.

2. تحديد أداة البحث المناسبة في معالجة موضوع البحث بحيث تؤدي إلى الغور في جوهر موضوع الظاهرة محل الدراسة.
3. تحليل المعلومات المتحصل عليها من الظاهرة المدروسة ومحاولة بناء تفسيرات موضوعية لها، وذلك من خلال استخلاص المعاني المرتبطة بالتجربة أو الظاهرة، وتوضيح البناء الوصفي للظاهرة.

4. استخلاص النتائج وعرضها، وذلك بواسطة التركيز على المعنى الجوهري للموضوعات المصنفة مسبقا، ومحاولة البحث عن مفهوم عام للظاهرة المدروسة من وجهة نظر ظاهراتية. (البشر، محمد بن سعود،1994، ص 38_43)

خامسا_ المحاور الفكرية للنظرية الظاهراتية:

1. **الاتصال:** وهو منظومة مشتركة من العلامات، تبدأ من إدراك الشخص، و تعبيره عن ذلك الشيء المدرك لتصل إلى مستوى المشاركة و التفاعل بينه وبين الشخص الآخر لاستخلاص المعنى المراد من الاتصال.
2. **الإدراك:** ينظر إلى الادراك من وجهة نظر الظاهراتية _ على أنه نقطة البداية لعملية الاتصال، إذ تحدد أبعاد العملية الاتصالية بناء على التنميط الذي يعطيه الفرد للشيء المدرك.
3. **القصدية الاتصالية:** و التي تشير إلى الوعي بإدراك الذات الذي يسبق الوعي بإدراك الظاهرة. فالقصدية هي الباعث لفعل الاتصال، و هي كذلك غاية لتحقيق الهدف من الاتصال. فالقصدية هي حقيقة الوعي بالشيء، أي وعي الفرد أنه في عملية اتصال وإدراكه الحسي للطرف الآخر. و ينسحب نفس الشيء على الطرف المقابل. وهذا يعني أن المعنى اللازم للقصدية أن يكون القائم بالاتصال قابلا للتفاعل مع البيئة المحيطة. (البشر محمد بن سعود،1994، ص 51_52)
4. **الاتصال السياسي:**تنظر النظرية الظاهراتية إلى الاتصال السياسي كسلوك اجتماعي.
5. **الماهية:** يرى هوسرل أن مفهوم الماهية يتضمن معنى الأشياء الحقيقي الذي يجب التركيز عليه في فهم الأشياء و الظواهر الاجتماعية.
6. **مفهوم الظاهرة:** يرى شوتز أن الظواهر الاجتماعية تتألف من مجموعة المفاهيم المرتبطة بالشعور العام، وتلك المفاهيم هي التي تتكون لدى الأفراد أو التي يكونها الأفراد حول العالم، وحول بعضهم، وذلك من خلال صور التفاعل والعلاقات القائمة فيما بينهم خلال حياتهم اليومية.
7. **مخزون المعرفة المشتركة:** والذي يعني المعرفة التي تزودنا بالإطار التأويلي، أو الإطار المرجعي، و الذي نستطيع بواسطته أن نطبق خبرة الماضي، و نجعل منها أساسا للأفعال البديلة أو الأفعال الممكنة (عامر مصباح، 2010، ص 337_338).

8. **التخلل الذاتي:** و الذي يشير إلى أنه لا يمكن فهم حقيقة الظاهرة الاجتماعية إلا إذا قام الباحث الاجتماعي بالنفاذ إلى قلب الظاهرة الاجتماعية وتحليل جوهرها.
9. **الخبرة المباشرة و الخبرة غير المباشرة.**
10. **عالم البديهيات. (عامر مصباح، 2010، ص 338).**
11. **عالم الحياة اليومية**
12. **عالم الثقافة**
13. **عوالم الواقعية الاجتماعية**

الفينومينولوجيا هي من التوجهات النظرية الحديثة في علم الاجتماع، لها خلفية فلسفية و لمسة مقارباتية سوسيولوجية ، وجاءت كرد فعل ضد فشل النظريات الكلاسيكية الوضعية و البنيوية الوظيفية في فهم وتقديم عمق تحليلي تنظيري لمجتمعات الحداثة و ما بعد الحداثة بوجه خاص ، كان هدفها الاساسي تقديم مواكبة علمية سوسيولوجية لفهم التغير الاجتماعي خاصة على مستوى تعقيدات الظواهر الاجتماعية ، وايضا تطوير المناهج و المقاربات المنهجية في علم اجتماع (الميكروسوسيولوجي)

خاتمة:

إن علم الاجتماع كعلم إنساني لم يظهر من فراغ بقدر ما ظهر نتيجة لتوافر مجموعة من العوامل والمؤثرات الفكرية والاجتماعية التي أسهمت بشكل مباشر أو غير مباشر في بلورة ملامح النظريات العلمية السوسيولوجية. لذلك تعد النظرية السوسيولوجية من أهم المقاييس العلمية التي يدرسها طلبة علم الاجتماع بمختلف المستويات، وأهميتها لا تكمن في مجالها النظري و الأكاديمي فحسب بل تكمن أيضا في مجالها البراغماتي و التطبيقي أيضا.

إن دراسة وفهم النظرية السوسيولوجية يساعد الطالب الجامعي على بلورة المفاهيم و التصورات والأفكار العامة حول علم الاجتماع عامة، كما تساعده على إدراك أهمية هذا العلم ومعرفة دوره كتخصص أكاديمي يهتم بدراسة القضايا و المشكلات و الظواهر المجتمعية التي هي في الأساس موضع اهتمامه.

ما حاولنا تقديمه من خلال هذه المطبوعة البيداغوجية هو تبسيط دراسة النظرية السوسيولوجية و توضيح بعض المعالم للنظريات الكبرى في علم الاجتماع كالبنائية الوظيفية و النظرية الماركسية والتفاعلية الرمزية و غيرها، و كذلك حاولنا تقديم أهم القضايا و المشكلات الاجتماعية التي خصها الرواد المؤسسون لعلم الاجتماع الغربي خاصة و الأمريكي بالدراسة و البحث ، خاصة و ان هذه المشكلات اجتماعية و وواقعية بالدرجة الأولى نتيجة عن مختلف التغيرات و التطورات التي عرفها المجتمع الحديث. في اوروبا و أمريكا على حدّ سواء.

قائمة المراجع:

الكتب:

1. احسان محمد الحسن (2010)،النظريات الاجتماعية المتقدمة: دراسة تحليلية في النظريات الاجتماعية المعاصرة،ط2،عمان: دار وائل للنشر.
2. احسان محمد الحسن(2009)،مناهج البحث الاجتماعي، ط2 ،عمان: دار وائل للنشر
3. اسماعيل محمد الزيود(2010)،علم الاجتماع،ط2،عمان: دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع.
4. البشر، محمد بن سعود (1994)، الفلسفة الظاهراتية في الاتصال الانساني: رؤية نقدية، الرياض: دار العاصمة للنشر و التوزيع.
5. السيد محمد بدوي (1994)، مبادئ علم الاجتماع،ط2، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية
6. عبد الباسط عبد المعطي(1998)، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، الكويت: المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب.
7. أنتوني غدنز (2005)،علم الاجتماع، ترجمة: فايز الصباح، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
8. حليم، بركات (2006). الاغتراب في الثقافة العربية: متاهات الإنسان بين الحلم والواقع. ط1. بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية .
9. نعيمة ،وابل (2013) .الاغتراب عند كارل ماركس: دراسة تحليلية نقدية. الجزائر: مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع.
10. عامر مصباح (2010)، علم الاجتماع الرواد و النظريات،ط1،الجزائر: شركة دار الأمة.
11. عبد الله محمد عبد الرحمن ورشاد غنيم(2008)،مدخل علم الاجتماع،ط1،الإسكندرية:دار المعرفة الجامعية.
12. عبد الله محمد عبد الرحمن(2003)،النظرية في علم الاجتماع: النظرية الكلاسيكية، الأزاريطية: دار المعرفة الجامعية.

13. . عبد الله محمد، عبد الرحمن (2002).النظرية في علم الاجتماع: النظرية السوسيولوجية المعاصرة. الجزء الثاني. الأزاريطية: دار المعرفة الجامعية

14. سليم الغزوي و آخرون (1992)، مدخل إلى علم الاجتماع، عمان : دار الشروق

15. معن خليل العمر(1990)، نظريات معاصرة في علم الاجتماع،ط1، بيروت: دار الشروق

16. معن خليل العمر(1991)، نقد الفكر الاجتماعي المعاصر،ط2، بغداد: دار الآفاق الجديدة

17. كيلوتش غراهام(1990)، تمهيد في النظرية الاجتماعية: تطورها ونماذجها الكبرى، ترجمة: محمد السعيد فرج، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

18. علي عبد الرزاق الجلبي و آخرون(1998)، علم الاجتماع ،د م: دار المعرفة الجامعية.

19. علي الحوات (1990)، مبادئ علم الاجتماع، ليبيا: منشورات الجامعة المفتوحة.

20. علي ،بوعناقة(2007)، الشباب و مشكلاته في المدن الحضرية.ط1.بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية

21._ محمد، عارف (1982).المجتمع بنظرة وظيفية .الكتاب الثاني .القاهرة: المكتبة الأنجلو المصرية، 1982

22. جعفر نجم العقيلي(2008)،سوسيولوجيا روبرت ميرتون، بغداد: جامعة المستنصرية

23. فوزي أحمد، بن دريدي (2007). العنف لدى التلاميذ في المدارس الثانوية الجزائرية. الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.

24. محمد علي محمد،(1983)، المفكرون الاجتماعيون: قراءة معاصرة لأعمال خمسة من أعلام علم الاجتماع الغربي، بيروت: دار النهضة العربية

25. ماكس فيبر (2011)، مفاهيم أساسية في علم الاجتماع، ترجمة : صلاح هلال،ط1ن القاهرة: المركز القومي للترجمة.

26. جون سكوت و آخرون (2013)،علم الاجتماع المفاهيم الأساسية، ترجمة: محمد عثمان،ط2،بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر

27. ميشال مان (1994)،موسوعة العلوم الاجتماعية، ترجمة: عادل الهواري وسعد عبد العزيز مصلوح، بيروت: مكتبة الفلاح

28. عبد الغفار مكاوي (2018)،النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي CIC.

29. عدلي محمود السمري (2011)، علم الاجتماع الجنائي،ط2،عمان: دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة

30. نيكولا تيماشيف (1997)، نظرية علم الاجتماع، ترجمة حمود عودة وآخرون، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

31. صلاح الدين شروخ(2004)،علم الاجتماع التربوي، عنابة: درا العلوم للنشر و التوزيع.

المجلات و الدوريات:

32. زيات فيصل و مخطار ديدوش محمد (2019)، نظرية الصراع الاجتماعي من منطق كارل ماركس إلى منطق داهرندوف، مجلة دراسات في علوم الانسان والمجتمع ،جامعة جيجل ، مجلد 2، العدد 01

33. طالب عبد الكريم كاظم القريشي(2012)، الظاهرة الاجتماعية عند إميل دور كايم: تحليل اجتماعي، مجلة دراسات إسلامية معاصرة، العدد السادس، السنة الثالثة، العراق، جامعة كربلاء.

34. لحرش موسى (2009)،قراءة معرفية لظاهرة الصراع الاجتماعي في إطار الحقل السوسيولوجي، مجلة التواصل، جامعة عنابة، العدد 6

مراجع باللغة الفرنسية:

35. Gilles Ferréol et al.(2013) .Dictionnaire de Sociologie. 4e édition,Tizi-Ouzou :Editions MEHDI

36. Luc Van Campenhoudt et Nicolas Marquis (2014),Cours de Sociologie ,Paris : Dunod.

37. Frédéric Lebaron (2014),Les 300 mots de la sociologie, Paris : Dunod

مواقع إلكترونية:

38. النوبي بن فرج، الاتجاهات الفينومينولوجية الحديثة في علم الاجتماع، مقال نشر بتاريخ 2011_07_30، عن موقعhttps://www.turess.com/echaab/14980

39. حسام الدين فياض(2010) ،النظرية النقدية للمجتمع: مدرسة فرانكفورت نموذجا، صفحة نحو علم اجتماع تنويري عن موقع:

https://www.facebook.com/profile.php?id=100013362274564

40. https://www.4algeria.com/forum/t/359386

41. www.uobabylon.edu.iq